

إعداد وتقديم

أحمد عيسى

حيــــاة بـــلا حــدود

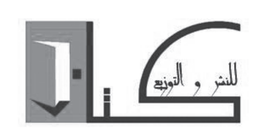
إعداد وتقديم

أحمد عيسى

الناشر: دار كتاب للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٢٥٠٦٨ / ٢٠١٤

تنسيق وإخراج: محمد سعيد ٠١١١٥٧٤٢٣٠٣



٥ امتداد شارع عبد الباري شراب الكوم الأخضر فيصل

تليفون ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

الموقع http://www.daarketab.com/

اسسها رمضان فارس

حياة بلا حدود

إعداد وتقديم

أحمد عيسى

مقدمة

لاشك أن كل منا يعرف أن الحياة قاسية، وصعبة، ولكني أخبركم أنها لا يوجد بها شيء يدعى المستحيل، ومن لم يصدق ذلك فليقرأ قصة نيك فيوتتش، وغيره مما سنذكر قصصهم تباعًا، من هؤلاء الذين كانت حياتهم مليئة بالصعوبات، إلا أنهم استطاعوا أن يغيروها إلى الأفضل، وقد قدمت ذلك الكتاب للقارئ بغرض محاربة اليأس الذي قد يصيب البعض منا في المواقف الصعبة، لكنه حين يقارن كافة الصعوبات التي مر بها بما واجهه نيكفلن يجدها تبلغ نسبة واحد من المليون مما عاناه نيك فيوتتش في بداية الأمر، إلا أنه لم يستسلم لها، ولم يتركها تتحكم فيه، وليتمكن قارئ هذا الكتاب من:

- أن يعرف قيمة نفسه أولاً
- أن يعرف قيمة الأشخاص المحيطين به
- أن يتمسك بالأمل ولا ينظر إلى الحياة بسلبية
- أن يؤمن أنه يمكنه أن يفعل شيء يتحدث العالم كله عنه إذا لم يستسلم لظروفه

كن أنت المعجزة

حين يرى أحد منا أحد مقاطع الفيديو لشخص طبيعي يقوم بالتزلج أو بممارسة رياضة ركوب الأمواج أو يعزف الموسيقى، ربما لا ينتبه إليها جيدًا، لأننا نعرف أننا نستطيع أن نفعل ذلك لكن حين حين تتحول إلى أكثر مقاطع الفيديو مشاهدة على موقع اليوتيوب، فهذا يشير إلى استثنائيتها، لأنها تعرض ركوب الكاتب نيك فيوتتش.للأمواج وممارسته للتزلج وعزفه للموسيقى وقد خلق محرومًا من أطرافه الأربعة، كل هذه الأنشطة الطبيعية التي ربما يستطيع أن يمارسها الجميع، ولكن حين يفعل ذلك شخص عاجز تمامًا، يفقد أطرافه الأربعة، فهذا إذًا هو الأمر الذي يجعل الملايين من جميع دول العالم يشاهدون هذه المقاطع بالذات، فهم يرون شخص ذو قدرات جسدية محدودة تمامًا يفعل ذلك، وفي حين يعجز معظم من يعاني من نفس حالة نيك

أن يفعل الأمور الصغيرة مثل المأكل والملبس، نجد نيك فيوتتش يتزلج ويركب الأمواج ويعزف الموسيقى دون أطراف، دعك مما جعله يستطيع أن يفعل ذلك، فالأهم هو ما الذي جعله يفكر في ذلك منذ البداية! وما الذي قد يجعل شخص عاجز يفكر في أن يقوم بمثل هذه الأفعال، هل ليقوم المعجبين بمعانقته و يلمع نجمه في سماء الشهرة أم لأنه آمن بأن الحياة بلاحدود؟

هذا السؤال هو تداعيات تعليق تركه أحد مشاهدي الفيديو يقول فيه "حين أرى رجلًا في مثل حالتك يا نيك يشعر بما وجدتك عليه من سعادة فأتساءل ما الذي يشعرني بالحزن وأنا من الأصحاء؟» يشعر الأصحاء بالحزن حين يفكرون في أنهم لا يعيشون الحياة التي يريدون، أو لأنهم لم يحصلوا على الوظيفة التي تناسبهم، أو لأن الفرص المتاحة أمامهم غير كافية أو أقل مما يستحقون، فهم ينظرون إلى أنفسهم على أن حياتهم لها حدود تقيدها، فكثير ما يفكر كل منا بأنه لا يتمتع بالقدر الكافي من الذكاء أو الموهبه،

وإذا كان ذلك هو ما ننظر به إلى أنفسنا فكيف إذاً سينظر الأخرون إلينا؟! وما أسوأ أن تشعر بأنك لن تبلغ ما تريده لأن هناك حدود تقيدك، ما الذي يجعلك تظن أنك تعرف الحدود التي وضعها الله لقدراتك أو تضع حدود للقدرات التي قد يسخرها الله لك، وإذا بحثت عن معجزة و لم تجد فعليك أن تكون انت هذه المعجزة، لأن الله وحده هو الذي أراد لك الحياة، فلا يمكن أن تكون هناك حدود لهذه الحياه، فالخالق لا حدود لقدراته، نستطيع إذًا أن نختار بين الغرق في الألم والحزن والشعور بالمرارة أو التعلم مما نمر به من مواقف صعبة وأن نضع مسئولية سعادتنا على عاتق أنفسنا دون أن نتكئ على الظروف.

علينا أن نؤمن تمامًا أن الله خلقنا وأبدع في خلقه كي يجعلنا نمتلك ما يؤهلنا لأن نكون ما نريد، وأن نُعليّ من سقف أحلامنا ولا ننظر إلى الأهداف الصغيرة فقط لأننا في طريقنا إلى تحقيق الأهداف الكبيرة نجد أن الأهداف الصغيرة تتحقق في طريقنا إلى ما هو أعظم شأنًا دون أن ندرك ذلك،

وإن لم ننظر إلى البعيد فستصبح الأحلام الصغيرة هى أقصى أمانينا و مبلغ همنا إلى أن نفقد الثقة في أنفسنا ونسقط في خيبات أمل متكررة واحدة تلو الأخرى. لا شك أن تحدي نيك كان فريدًا من نوعه إلا أن التحديات المميزة والفريدة تخلق الفرص المميزة، إنه نموذج يبرهن على أن لا شيء مستحيل، وإذا لم يكن هناك مستحيل فتخيل الشكل الذي قد تكون عليه الحياة.

يجب أن ننظر إلى أنفسنا على أن بإمكاننا دائمًا أن نكون أفضل مما نحن عليه وأن نكسر القيود والحواجز ونتخطى الحدود إلى أن يظهر غيرها بعيدًا في المدى فنتخطاها هي الأخرى وهكذا إلى أن تتلاشى هذه الحدود وندرك عن يقين بأننا نستطيع أن نبلغ ما نريد، لن ينفعكم أن يضع أحدهم يديه على كتفكم ويقول اطمئنوا ستسير الأمور على النحو الذي تودونه، ولكن ما سينفعكم هو أن تؤمنوا جيدًا أنه مهما كان اليأس الذي تعانون منه بحياتكم فالأمل موجود، فهناك أيام أفضل قادمة، وقد تمرون بمواقف أصعب مما

تمرون به الآن، لكنكم تستطيعون أن تتخطوها، بل وتجعلوه سببًا في التغيير إلى الأفضل، كل ما عليكم هو أن تتخذوا القرار بالتغيير الآن، لأن مجرد الرغبة في التغيير لن يجدي نفعًا ولن يغير شيئًا.

ألهمت تجربة نيك الكثيرين وأعطت الأمل لمن يظن أنه لا أمل له مع هذه الحياة المؤلمة، فهي دليل حي إلى أن قوة الإنسان الحقيقية تكمن في قلبه، وفي إيمانه أن الحياة بلا حدود.

اعرف قيمة نفسك جيدًا

لقد استغرق نيك كثيرًا من الوقت ليرى مزايا الظروف التي يعاني منها. كان عمر والدته ٢٥ عامًا حين كانت تحمل في بطنها ابنها الأول، وكانت ظروف حملها مثالية، حيث أعطاها عملها في عيادة لطب الأطفال الكثير من الفوائد، أي لم تكن جديدة عهد بالولادة، فهي تعمل "داية" في هذه العيادة، فصارت تعرف الظروف المثالية للعناية الصحية في فترة الحمل، فكانت تراقب نظامها الغذائي، ولا تشرب الكحول، ولا تتناول أية مسكنات بشكل منتظم، لذا لم يكن غريب أن يقول لها الأطباء أنها في أفضل حال، ولكن جلَّ ما كان يقلقها هو صحة الجنين، وقد تحدثت عن ذلك كثيرًا، لذا ذهبت إلى العيادة وقامت بعمل تحاليل بالأشعة فوق الصوتية، ولم يلاحظ الأطباء من الأشعة أي أمر غريب، وأخبروا زوجها بأن الجنين ذكر، وأن كل شيء على ما يرام، دون أن يتفوه أحدًا منهم بكلمة واحدة عن عجز هذا الجنين أو فقدانه لأي طرف من الأطراف، وُلد نيك

في الرابع من شهر ديسمبر لعام ١٩٨٢ ولم يستطع الأطباء الرد على والدته حين سألتهم عن صحة طفلها، إذ لم يسمحوا لها برؤيته حينما رأووا ما به من عجز، وأخرجوا والده من الغرفة بعد أن فقد وعيه حين نظر إلى طفله الصغير. أخذ الأطباء نيك وتحدثوا في الركن الآخر من الغرفة وشعرت والدته بالطمآنينة حين سمعت صرخة قوية، وشعرت بأن صغيرها في صحة جيدة، ولكنها صدمت حين رأت الأطباء يلفونه، فلم تكن امراة ساذجة بل نظرت إلى أعين الأطباء، و كانت أدرى بهذه الأمور من غيرها من النساء، وأيقنت الرد على سؤالها، وأدركت أن هناك أمر سئ جدا بطفلها. فراحت تصرخ "ما الذي يحدث؟ هل تبدو حالة الطفل بهذه الخطورة؟". لم يجيبها الأطباء في البداية إلا أنهم لم يستطيعوا الصمت من صراخ والدته، فأجابوه "فوكوميليا"

كانت تعرف هذه الكلمة بحكم عملها بالعيادة، فقد كان الأطباء يذكرون هذا الإسم حين يولد الطفل مشوهًا، أو فاقدًا لأحد أطرافه. لم يزل والده بالخارج يبكي لأنه يظن أن طفله ولد بلا ذراعين، فلم يكن يعرف أنه بلا قدمين أيضًا، وحين أخبره الأطباء

بذلك سقط مغشيًا، فقد صُعق لما أدركه لتوه، ثم حين استرد وعيه وشعر بأنه يستطيع أن يسير، سار نحو زوجته ليخبرها قبل أن ترى الطفل فوجدها تبكي بشدة على السرير.

مشهد حزين جدًا، تبكي فيه الأم والأب والطفل بطبيعة حاله والممرضات، ينبئ عن حياة أكثر حزن للمولود، لم تستطع أمه النظر إليه بل صرخت في الأطباء "خذوه بعيدًا"، ربما لم يكن على الأطباء إخبارها أو إعدادها جيدًا قبل تلقي هذا الخبر، وتحول مشهد الاحتفال بميلاد طفل إلى مصيبة، تجعل الوالد المسيحي الذي يذهب إلى الكنيسة في صباح الآحاد يكفر برب الكنيسة ويقول " إذا كان الله محبة فلما يسمح بمثل هذا الأمر؟.

مأساة الوالدة

كان نيك هو الطفل الأول لأسرته وكان من المفترض أن يحمل بمولده أسعد يوم في حياة هذه العائلة، ولكن ميلاده أصابهم بخيبة الأمل، لدرجة أن والدته قالت لزوجه أنه لم يكن الأمر يستحق شرائه للزهور. وكان نيك هو الوحيد الذي لا يدرك طبيعته الجسدية، ومصيبته التي سيحيا بها طوال حياته، لكن الله كان يخبيء له معجزة في طيات هذه المصيبة.

بلغ عمر نيك ١٣ عامًا، وبدأت أسألة أصدقائه بالمدرسة تنهال عليه " هل ولدت هكذا يا نيك؟، هل تعرضت لحادث فقدت فيه أطرافك وأنت صغير؟" وكان من الطبيعي أن يدرك أنه وُلد كذلك بعد أن سأل والديه اللذين رفضا أن يتحدثا معه بشأن هذا الأمر طوال هذه السنوات، وكان يخشى هو أيضًا الحديث عن هذا فيما مضى، فقد كان يخاف سماع ما قد يخبره والديه، إلا أنه سرعان ما أصابه الفضول الشديد وأدرك الحقيقة، أدرك أن والدته لم تتحمل رؤيته يوم ولادته، ورفضت أن تحمله، وكان نيك كلما فكر بذلك

وهو طفل يشعر بالحزن الشديد، وكان يتخيل أن منظره لابد أنه كان بشعًا بدرجة كافية لتفعل هي ذلك، ولكنه كان يعلم أن والديه يحبانه جدًا فقد أدرك ذلك خلال الثلاثة عشرة عامًا الماضية، كان جل ما يحزنه انه جلب الحزن على هذه الأسرة، وكثيرًا ما كان يضع نفسه مكانهم ويتخيل رد فعله، ولم يدري طريقة تصرفه حينها، ربما فعل مثلهم أو كان أقل منهم غضبًا أو أكثر بكثير. أخبره والداه بأنه كان سعيدًا جدًا وهو طفل صغير ودائمًا مبتسمًا، ولطالما أخبره الجيران بأنه كان مصدر إلهام لهم جميعًا، إذ لم يروا ابتسامة تعلو وجه طفل صغير مثل تلك التي رأوه على وجهه، وأنهم تنبأوا له بمستقبل عظيم كلما رأوه، هل كان نيك يدرك أنه كذلك، وما الفرق بين حياة نيك الآن وحياته لو لم يصدق ما يقوله الجميع له وفكر في أنهم يقولون ذلك حتى لا يشعر بالآسف على حاله، وأنه في حالة يرثى له، هل كان سيصل إلى ما وصل إليه، بالتأكيد كانت ستختلف إلى حياة أسوأ من ذلك بكثير، هذا إذًا هو الفرق بين من ينظر إلى الحياة على أنها محدودة، ومن يعيش حياة بلا حدود.

ينظر نيك إلى أن ما وُلد به من إصابة كان أمرًا عظيمًا ربما جعله

يرى ما لم يكن ليراه إذا لم يكن فاقدًا لأطرافه، وقد نظر إلى الأطفال الأيتام، وقال أنا أفضل منهم حالاً، بل إنني أفضل حالا من ذلك الذي يلقوا به في السجن لأنه لا يملك المال ليسدد بعض الفواتير، فالمعاناة يعيشها الكثير حول العالم، فهو أمر ليس حكرًا على مجتمع بعينه أو دولة دون أخرى. يرى نيك أن حياته ربما اختلفت كثيرًا إذا خُلق بجسده كاملاً، لم يكن ليبحث عن تحدي أعظم مما هو أمامه، فقد مر بأماكن كثيرة حول العالم ورأى من هم في كامل صحتهم أسوأ منه حالاً، ففي القاهرة أثناء زيارته لمصر عام ٢٠٠٩ رأى عدد كبير من الناس يقضون يومهم بين تلال من القمامة بحي منشأة ناصر باحثين عن شيء يمكنهم استغلاله، بالبيع أو بإعادة استخدامه، وفي بلاد كثيرة حول العالم رأى من أسوأ حالاً ممن رأهم في مصر، فقد قام بزيارة أكثر أحياء العالم فقرًا، وهذه التجربة تركت في قلبه الرضى عن يقين حقيقي بأنه أفضل حالًا، فهناك عائلات كثيرة تقتات على ما يجدونه في قمامة أشخاص آخرون، هذه هي الفكرة إذًا، هناك أناس كثيرون يأخذون ما يلقيه الآخرون بعد أن استغنوا عنه، أو ظنوا أنها لم يعد منها فائدة.، قس ذلك أيضًا

على الأفكار، حين تجول فكرة هامة برأس أي إنسان منا ويجدها تتطلب أن يتعلم شيئًا ما، او بذل مجهود مضني، فسرعان ما ينحها جانبًا ويفكر في أمر آخر، وليسأل كل إنسان نفسه عن الأفكار التي جالت بخاطره في نهاية كل يوم ويسأل نفسه كم ترك من أفكار كانت ستشكل مستقبلاً أفضل بالنسبة له، إذا تمسك بها ! لكنه يلقي به جانبًا لأنها تبدو له مستحيلة، ربما لو آمن من كل قلبه بقدرة الله لأدرك هذا الإنسان أن بإمكانه أن يفعل أكثر من ذلك، فالسعادة يمكنها أن توجد في أكثر ظروف الحياة قسوة، وهذا ما يجعل الفقراء يبتسمون، فالظروف تتغير بالإرادة القوية، لا بالتمني، فإذا أراد الفرد منا التغيير، وسعى في ذلك واجتهد، لابد أنه سيجنى ثمار سعيه.

لا تترك شيئًا للظروف

ولد نيك لأبوين مسيحيين في أحد قرى جمهورية، يوغوسلافيا سابقًا التي صارت صربيا الآن، وقد هاجرت جميع أفراد أسرتيهما إلى أستراليا هربًا من تعسف الشيوعيين والتمييز العنصري، واضطهادهم للمسيحيين، فقد فر الكثير من العائلات من يوغوسلافيا إلى كندا وإلى الولايات المتحدة، كي يتمكنوا من إقامة الطقوس والشعائر الدينية دون أن يتعرضوا للتعذيب أو الإهانة، إلا أن والد ووالدة نيك آثروا البقاء رغم رحيل جميع أفراد عائلتهم إلى استراليا وكندا والولايات المتحدة، وراحوا يقضون أمور عبادتهم سرًا، يعانون من الفقر والحاجة لأنهم رفضوا تأييد الحزب الشيوعي المتحكم في كل شئ في ذلك الوقت.

التقى "بوريس" والد نيك بوالدته "دوشكا" في كنيسة

ملبورن، ولم تزل دوشكا تدرس في عامها الثاني بمدرسة للتمريض، وبورس يعمل كموظف في مكتب محاسبة، ثم أصبح بعد ذلك قس في الكنيسة، تعرفا والديه على بعضهما، وأرسل إليه أخيه "باتا" ليحصل على تصريح عمل ويهاجر إلى الولايات المتحدة، لأنه يستطيع أن يؤمن له عمل بولاية لوس أنجلوس حيث يعيش الكثير من العائلات الصربية ممن تركوا بلادهم واستقروا هناك، وأُعجب بورس بفكرة السفر هذه حيث فكر في أن سفره للولايات المتحدة سيؤمن مستقبلاً أفضل لأولاده، وكان قد أنجب طفلين آخرين إلى جانب نيك، فتي أطلق عليه اسم "أرون" وفتاة سماها "ميشيل". لم تستطيع العائلة السفر إلى الولايات المتحدة مباشرة من صربيا فسافروا إلى استراليا أولا حيث استقروا هناك لبعض الوقت، وفي عام ١٩٩٤ وصلت العائلة إلى ولاية كاليفورنيا، و كان عمر نيك في ذلك العام قرابة العشرة سنوات، ويدرس بالصف الرابع الابتدائي، وقد كانت حياتهم هناك صعبة جدًا، فنظام التعليم مختلف وهناك مواد دراسية لم يدرسها نيك من قبل، وكان أقل

من رفقائه في الدراسة في بادئ الأمر، ولكن ذلك كان يضيف إليه مزيدًا من التحدي ويجعله يصمم أكثر يأن يصبح ما يريد.

استقرت العائلة بمنزل "باتا" شقيق الوالد إلا أن باتا كان متزوجًا وله ستة أطفال، مما جعل البيت مزدحمًا وبيئة المنزل لا تساعد على المذاكرة والاجتهاد، فكر كل من بروس ودوشكا في أن عليهما أن يخططا لشراء منزل منذ ذلك الوقت، فتركت والدته دراستها بالتمريض قبل أن تحصل على ترخيص مزاولة المهنة، وعمل والده في شركة أخيه لتجارة العقارات، وبعد ثلاثة شهور فقط أدركت العائلة أن سفرهم للولايات المتحدة لم يكن أمرًا جيدًا، فقد كان نيك يعاني من تأخره الدراسي عن أصدقائه، فيما يكافح والديه للحصول على تأمين صحي لذلك الفتى العاجز، ولم يعتقدا أن بإمكانهم تأمين مسكن دائم لأطفالهم فأسعار المنازل هناك باهظة جدًا، أضف إلى ذلك الإحباط الذي أصاب والده حين أخبره المحامي القائم على قضية حصولهم على التأمين الصحي لنيك أنه لن يستطيع الحصول على اعتماد هذه الأوراق، ولم يكن يملك ما يكفي

من النقود للنفقة على أدوية نيك. تضافرت الصعوبات على الأسرة مما جعلهم يتركون كاليفورنيا ويعودون إلى بريسبان بعد مضي أربعة شهور فقط على مجيئهم إلى الولايات المتحدة، حيث عمل والده مدرسًا لعلوم الحاسب بأحد معاهد التعليم الفني، وخصصت الأم حياتها لأطفالها عامة ولنيك على وجه الخصوص.

طفل التحدي

صرح والدا نيك كثير بما يساورهما من مخاوف وكوابيس حول مستقبل طفليهما العاجز، فلم يكن نيك هو الطفل الذي يحلمان به، وفكرا كثيرًا في أن يوهبانه للتبني في الشهور التي تلت ولادته مباشرة، إلى أن اقترح جده بأن يأخذه معه ويرعاه، وهنا ظل والده يفكر هل يترك ابنه يبتعد عنه لأنه مصاب بالعجز التام؟ هل يستطيع الجد أن يرعى الفتى بشكل أفضل من أمه وأبيه؟ لكن بروس كان ينظر إلى أن مستقبل هذا الفتى مليئ بالمعاناة، وهو الأمر الذي جعله يفكر في أن يهب طفله للكنيسة، لكنه سرعان ما فكر في أن ميلاد طفله الأول بهذه الإعاقة لابد وأن له دلالة خاصة، فرفض عرض الجد في الاعتناء بالطفل وأخذ على عاتقه أن يسعى لتوفير حياة طبيعية لطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد كان والده مسيحيًا سويًا يؤمن بالقدر، وقال في نفسه إن بعض الجراح يًمكن شفاءها إذا أسرعت في علاجها، فتلك هي طبيعة الحياة بشكل عام، فليست الجراح وحدها بل كافة أمور الحياة مثل العلاقات والمشاكل المادية

أيضًا يمكن للمرء أن يتخلص منها نهائيا، إذا فكر جيدًا وأسرع في اتخاذ خطوات جادة في التخلص من هذه المعضلات، وألقى بما مضى وراء ظهره ولم ينظر إليها، فحين يصاب شخص ما بالإحباط لأنه ترك وظيفته وبحث عن عمل فلم يجد، قد يجعله ذلك ينظر إلى الحياة نظرة سيئة وكأنها لا يوجد بها ما يستحق العنا، من يفكر بهذه الطريقة لن يتقدم ولن يغير ما يراه سيئًا في حياته، لكنه إذا فكر في أنه لابد من أن هناك شيء أفضل بانتظاره وكذلك الوظيفة التي كان يتمناها في صغره، لاستطاع أن يغير ذلك، فهناك من جعلته الظروف المادية الصعبة يفكر بطريقة مختلفة عما يراه من حوله وبعد فترة قصيره نجده يمتلك عمله الخاص ويعمل لديه العديد من الأشخاص، فقد وجد طريقة جديدة للبقاء تتعلق بأفكار جيدة وليدة المحنة، وقد يعترف الكثير من أصحاب الشركات أنهم لولا ما مروا به من ظروف مادية صعبة لما أصبحوا ما هم عليه الآن.

حق الاختيار

ربما لايستطيع الإنسان التحكم فيما يمر به من أحداث ومواقف صعبة فبعضها لا يكون للإنسان يد فيها ولا يملك القوة اللازمة لإيقاف ما يحدث له، لكن ما يمتلكه حقًا هو الاختيار بين أن يستسلم لهذه الظروف أو يكافح للحصول على حياة أفضل، ويرى نيك أن لكل شيء مسبباته، فربما لا يدرك المرء أسباب ما يحل به من مواقف صعبة إلا أن عليه أن يعرف الأسباب التي تجعله يتخلص منها، لينظر من حوله إلى نماذج الشخصيات والدول المكافحة فهناك العديد من العناصر الملهمة التي تستطيع أن تمنحه نظرة إيجابية حتى لأسوأ الأحداث، ما الذي جعل نيك يحظى بهذه الحياة منذ البداية؟ ماذا لو نظر والده إليه على أنه لعنة أصابت العائلة؟ لم يكن ليرى الأشياء الجيدة الموجودة بولده كابتسامتها الساحرة، وقدرته منذ نعومة أظافره بأن يأسر قلوب من يروه، لقد نظر بروس إلى نيك على أنه نعمة رزقه الله بها، لأنه يؤمن عن

يقين أن نيك لم يولد هكذا مصادفة بل هناك مستقبل خاص بهذا الطفل، وقد أدرك ذلك جيدًا حين بدأ الطفل بالذهاب إلى المدرسة والتفوق فيها، وقد كان دائمًا أكثر فهمًا لما يستقبله من معلومات، ولكن هذا الأمر لا يتعلق بالإعاقة التي ولد بها، فلم يكن يعاني من أية أمراض تخص القدرة على الفهم والإدراك، كل ما يعانيه هو عجز جسدي لا يمنعه عن الفهم، فالغريب إذًا ليس فهمه الجيد واستقباله للمعلومات وإنما كان الغريب أن يهتم نيك بالرياضة واللياقة البدنية، فقد كان ينظر إلى نفسه على أن بنيته الجسدية قوية، تؤهله لأن يفعل الكثير وهو بدون أطراف.

ظل نيك وهو طفلاً يحاول أن يقلد ما يراه من رفقائه من حركات، كالوقوف على رأسه، في البداية كان والديه يساعدانه على أن يفعل ذلك بطريقة أسهل وأكثر راحة، كأن تضع والدته له وسادة تحت رأسه لتجعل حركته للأعلى أكثر سهولة لكنه رفض مساعدتهما بعد فترة صغيرة، وبدأ يحاول أن يفعل ذلك بمفرده وبطريقته الخاصة، بدأ يضع جبينه على الأرض ثم

يدفع ببقية جسده إلى الأعلى ليتكي بها على الحائط، فقد كانت رأسه هي الشيء الوحيد الذي يستطيع الاعتماد عليه، ومرة تلو الأخرى اكتسب هذه المهارة دون أن يحتاج للحائط نفسه.

كان والديه دائمي القلق بشأن ما يجهد به نفسه، فالطفل الأول دائمًا ما يثير القلق حتى ولو ولد دون إعاقة، لدرجة أن بعض المتزوجون حديثًا يتمنون أن يولد طفلهما الأول مع كتيب إرشادات للتعامل معه، ولم يكن هناك قسم بعيادات الأطفال لمن بمثل حالته، ولكن قلق والدي نيك كان أعظم، كان يفكرون كثيرًا في كيف سيتناول هذاا الفتى وجبة طعامه، وكيف سيذهب للمدرسة، ومن سيعتني به في حالة تعرضوا لحادث منعهم من الاعتناء به، بل كيف سيعيش بعد رحيلهما؟

يحتمل التفكير في منطقية مثل هذه الأحداث إلى أن يصير نعمة أو لعنة، فإن صار نعمة بدأ المرء في التفكير في خطة استراتيجية ومجموعة من التكتيكات لتنفيذ هذه الخطة، فتتحول أعظم المخاوف سببًا في تحقيق أعظم الأهداف، وتثير دهشة الملايين حول العالم كما فعل نيك، أما إذا صارت لعنة

فستسوء الأمور كل يوم عن ذي قبله، إلى أن تتحول إلى كارثة، ولا يخفى على أحد منا أن هناك الكثير ممن ينتهي بهم الأمر إلى أن ينظروا خلفهم لا يجدوا أنهم فعلو شيئًا فيما مضى من عمرهم من سنوات، عليهم إذًا من الآن فصاعدًا أن يفكروا بشكل مختلف، وإذ لم يستطيعوا ذلك فإليهم صورة نيك الذي فعل الكثير بقدمه اليسرى التي لا يستطيع السير بها لكنه فعل بها الكثير من الأمور.

حين نظر والديه إلى حالة نيك يوم ولادته، كانوا ينظرون فقط إلى ما ينقص هذا الطفل، لم ينظروا جيدً حتى بعد فترة طويلة من ميلاده إلى ما خلقه الله من جزء صغير بجسده، وهو قدمه اليسرى، لأنها لا تستطيع أن تفعل شئ إذ أنها غير كاملة، ولكن بعدما رأوا طريقة نيك في استخدام هذا الجزء، إذ كان يتمتع بقدرة عجيبة في التحكم بهذه القدم، فقد كان يستخدمها في الالتفاف والركل وأمور أخرى، ولما رأوا من ذلك، ذهبوا به إلى الأطباء علهم ينصحونهم بطريقة تؤدي إلى الاستغلال الأمثل لهذه القدم. أخبرهما الأطباء بضرورة خضوع نيك

لعملية جراحية للفصل بين إصبعي القدم الملتصقين، وذلك قد يمكنه فيما بعد بأن يمسك القلم ويلتقط بعض الأشياء، وسيكون استخدامهم أفضل من استخدام إصبع واحد.

انتقلا والداه مرة أخرى إلى ميلبورن باستراليا حيث تتوافر للطفل رعاية صحية أفضل، وهناك تدرب نيك من قبل أخصائئين بارعين لإعداده جسديًا قبل إجراء العملية، إلا أن والدته أخبرت الأطباء بأنه كثيرًا ما ترتفع درجة حرارته وقد تضر العملية بصحة طفلها، فقد سمعت أن طفلاً يعاني من نفس حالة نيك تسببت له عملية جراحية مثل هذه في الوفاة بعد صراع طويل مع المرض. كانت والدته محقة بالطبع في أن تعرب عن قلقها للأطباء، لأن درجة حرارة جسد نيك كان ترتفع بشدة تدعو إلى القلق، طمأنها الأطباء لكنها ظلت توصيهم بمراقبة درجة حرارته طوال الوقت، دون أن يدرك الأطباء أهمية هذه النصيحة، وخضع نيك للجراحة، وتمت العملية بنجاح إلى أنه سرعان ما ارتفعت حرارة جسده بشدة لدرجة أنهم لم يستطيعوا السيطرة على ما يحدث للطفل

بالأدوية، فقاموا بلفه بملاءات مبتلة ووضعوا الثلج حول جسده بالكامل، وانفجرت أمه بالصراخ غاضبة من عدم انتباه الأطباء لنصيحتها. لم يدم هذا الحال لفترة طويلة، فقد تخطى نيك هذه الظروف إلى أن إصبعيه المنفصلين حديثًا لم يفعلا ما توقعه الأطباء، وما الذي يُنتظر أن يفعله الطفل بشبه قدم وإصبعين فقط، قد يظل الفرد بهما عاجزًا عن فعل شيء.

في البداية فكر والديه بالتخلي عنه حين نظروا إلى الأمر من الجانب السلبي، ولكنهم بعد ذلك تغيرت رؤيتهم تجاهه، وبعد إجراء العملية استطاع والده أن يدبر له أمر كرسي متحرك بتقنية حديثة مصممٌ خصيصًا لنيك، وبه جهاز كمبيوتر وهاتف خلوي، كل ذلك قد صُمم كي يتحكم به نيك عن طريق قدمه اليسرى وإصبعيه الوحيدين.

لم تكن تربية نيك والاعتناء به أمر هين، بل كانت بالنسية لهما التحدي الأكبر، وصار أكبر مصدر للقلق في حياتهم مما جعلهم يبحثون عن حلول قد تساعد في تحسين أوضاع ابنهما وفعلا ما يمكن لأى امرء أن يفعله، ولم يتوقعا أبدًا أن هذا

الطفل قد يحظى ذات يوم بحياة طبيعية، مثل أن يجد وظيفة يكسب منها ما يقتات به، أو أن يصبح رجلاً سعيدًا في يوم من الأيام، مما أثر على تفكير نيك في جميع مراحل حياته. اكتسب نيك لفترة غير قصيرة طريقة تفكير والديه، وأصبح غير مقتنع بأنه يسطيع أن يفعل شيء مختلف أو أن يُحدث فرقًا بجسده العاجز، وكان يحزن كثيرًا حين ينهض الجميع بعد تناول الطعام لغسل أيديهم، لكن الحياة كانت جديرة بأن تعطي للعائلة أوقاتًا سعيدة للمرح واللعب، فحياة نيك هي عبارة عن مغامرة تُكتب يوم بيوم، لأن ما بها من أحداث يشتمل على كافة التفاصيل التي يفعلها الكثير دون الانتباه لها، مثل الاستيقاظ من النوم والذهاب إلى دورة المياه والاستحمام وكافة الأمور الروتينية للحياة، لكن نيك كان عليه أن يفكر في كيف يفعل كل هذه الأمور قبل أن يفعلها، فقد أعطته الإعاقة مساحة من الوقت للتفكير على عكس غيره من الأشخاص الطبيعيين، وإذا رفض المرء الاستسلام لظروفه سيستطيع أن يغيرها حتى ولو تضافرت جهود كل من حوله

من أجل أن يظل في المعاناة، ولننظر إلى الحياة على أنها القصة التي نقوم بكتابة تفاصيلها، لا على أنها القصة المكتوبة التي يجب أن نؤدي ما يأتي بها من أحداث، وليبدأ كل شخص غير راض عما كتبه في السنوات الماضية بالبدء في كتابة حياة جديدة وليكن الفصل الأول منها أن الحياة بلا حدود.

البحث عن معنى

يعترف نيك بأنه قضى فترة طويلة من حياته يظن أنه لم يرزقه الله بالقوة اللازمة لكتابة قصته الخاصة أو لأن يحيا الحياة التي يختارها، بل رأى في البداية أن حياته محدودة جدًا مثلها مثل قدرته الجسدية. لا شك أن وجود مثل هذه العائلة في حياته كان له أثر كبير في تفكير نيك، ليس فقط والديه وإنما أشقائه الصغار، أرون وميشيل، إذا لم يتركاه يشعر بالوحدة أو يستسلم لمثل ذلك الشعور، وقبله أبواه وإخوته بالوضع الذي هو عليه وتفاعلوا معه ولم يعتبروه معيّقًا لحياتهم، وكلما تقدم نيك في السن كلما زاد إدراكه لما منحه الله من نعمة بحب المحيطين به له، ربما يكون حبهم من الظاهر فقط، ولكنهم لم يدرك منهم سوى ذلك، وحين كان يخبره والداه بأن الله يحبه، كان يسألهم "فلماذا لم يهبني جسد كامل؟" فكان والده ينصحه بأن يتذكر أن الإحباط واليأس مجرد مشاعر تجعلنا ننظر إلى قُبح الأمور لا إلى محاسنها، فلا بد أن نتخلص من هذ الحالة قبل أن نتخذ أي قرار، ولو استسلم والديه لهذه المشاعر لتركاه بإحدى

دور الرعاية المعاقين وأكملا حياتهما دون أن يقبلا التحدي الذي ألقت به الحياة أمامهم، فهم في النهاية بشر يصيبون ويخطئون، يذنبون ويحسنون. لكل شخص موهبة بل ربما أكثر من واحدة، ولكن طريقتنا في استغلال هذه المواهب تختلف من شخص الآخر ولكن هناك مبدأين أساسيين تنبثق منهما كافة الأفكار، وهما النظرة الإيجابية للظروف والنظرة السلبية لها، أما النظرة الإيجابية فهي أن تنظر إلى ما أنت عليه الآن، وإلى ما تمتلكه، لا إلى ما تحتاج إليه، فكر أولاً باستغلال ما لديك للحصول على ما لا تملكه، فلو أن نيك فكر في أنه لو خلقه الله كطفل طبيعي، لذهب إلى المدرسة ولحصل على وظيفة... إلخ. كان سيقف عند هذا الحد لكن عائلته فكرت باستغلال ما لديه حتى ولو كان جزءً من قدم، لذا فإن كان أحدنا يواجه صعوبة في تحقيق ما يحلم به، أو في أن يصل إلى ما سعى من أجله طوال حياته، فليدرك جيدًا أن هذه المشكلة لا تتعلق بالظروف المحيطة به بل تكمن داخله هو نفسه، ولو استطاع أن يغير من نفسه قليلاً لتغيرت هذه الظروف، وإليكم الطريقة التي قد تصلح لتغيير كافة الأمور التي لا ترضون بها في حياتكم.

أولاً الثقة بالنفس، علينا أن نؤمن جيدًا بأننا يمكننا أن نغير هذه الظروف، ومن لا يفعل ذلك فهو لايعرف قيمة نفسه، ويقلل منها لأنه لايعرف قدرها، وإذ لم يتستطع ذلك، فلينظر من حوله إلى عدد الذين مروا بظروف أصعب مما يمر به واستطاعوا أن يبلغوا مكانة عظية في المجتمع، وليتخذ أقرب شخصيةً له من بين هؤلاء كقدوة له، وليبدأ فورًا بتهيئة الظروف لتتناسب مع ما يريد إنجازه، وعندما يبدأ في إنجاز أول خطوة سيتابع في طي الطرق والمسافات التي ظن من قبل أنه لن يستطيع أن يرى منها شيء، فحين يسير المرء في طريق مظلم تمامًا، تدفعه الرغبة في الوصول إلى الضوء بالاستمرار في السير، ولا شك أنه إذا استمر في السير سيصل إلى النور، أما لو ظن أن بقية الطريق مظلمًا كما يبدو له لن يسير ولو خطوة واحدة إلى الأمام، لأنه لا يظن أن هناك فائدة من وراء ذلك، ولن يستطيع أحدًا أن يقنعه بأن الضوء قريب، هذا هو حال نيك في بداية عمره، إذ كان لا يتقبل حالته الجسدية ولا يستطيع التكيف معها، وبالتالي لم يكن رفقائه يقبلون به كصديق، لأنه يرى أن ذلك مستحيلاً، ربما دفعه إلى ذلك بعض متبلدي الإحساس من الأطفال، ممن كان كان

يرمقونه بنظرات الاستحقار أو يقذفونه بسخريات لا حصر لها، إلى هذا الشعور. ولو استسلم نيك لهذه الحالة وصدق في نفسه ما يصفونه به لما استطاع أن يخرج من حالة الإحباط التي تجعله يفكر طيلة الوقت في أنه لن يتزوج ذات يوم، وإذا تزوج كيف سيعانق زوجته وكيف سيحمل أطفاله كما كان يحمله والداه؟! أو في أن والداه قد يصابان باليأس منه ويأتوا له بشخص يرعاه كي لا تسوء حياتهم بسببه، وكيف سيجد وظيفة إذا كان يحتاج إلى شخص يرعاه، فربما على من يوظفه إن يوظف له شخص آخر للعناية به، ومن ذا الذي قد يدفع راتبين ليحصل على خدمة واحدة؟ ولكن بمرور الوقت وببلوغ سنه عشرة أعوام بدأت هذه الحالة تتبدل، لأنه بدأ يقبل الظروف المحيطة به، وبدأ يقبل نفسه كعضو في هذه الحياة، ثم أتى من بعد ذلك قبول الآخرين له.

يعاني الكثير من التفكير بنفس الطريقة التي فكر بها نيك في البداية، فليراجع كل منا نفسه، كم مرة فكر في أنه غير محبوب وهو طفل، وأن والديه يحبان أشقائه أكثر منه؟ ومن منا ظن وهو صغيرًا أن كل من حوله أجمل منه شكلاً، وتمنى لو خلقه الله بهيئة

مختلفة؟ بل من يفكر الآن بعد أن صار كبيرًا في أنه لن يستطيع أن يكفل أسرة فلا يفكر في الزواج لهذا السبب؟ يواجه الإنسان في كل مرحلة من حياته العديد من التحديات، ومن الطبيعي أن يشعر لبعض الوقت بالإحباط لكن عليه أن لا يترك نفسه لهذا الشعور، فلكي يعيش المرء في مجتمع يقبله ويحبه يجب أن يبدأ هو بأن يفعل ذلك تجاه نفسه أولاً، وأن يؤمن ما بداخله من حب تجاه نفسه ليحبه الآخرين، فلدى كل منا العديد من المواهب والقدرات تظهر وقتما فكرنا نحن باستغلالها وصقلها لتصبح مفيدة لنا وللمجتمع.

شارك أفكارك مع الآخرين

كان أصدقاء نيك في البداية يظنون أنه يعاني من إعاقة عقلية وكانوا يخشون التقرب منه ويتجنبون النظر إليه، حيث كان يجلس وحيدًا في زاوية من الفصل على كرسيه المتحرك، ولم يكن أي من رفقائه يعرفه قبل انضمامه للفصل، فوجد نيك الطريق إلى التقرب من أصدقائه بالتحدث أمامهم فكان يتحدث عما يجول بخاطره بصوت عال في ممر المدرسة وفي غرفة الطعام، لأنه كان يأمل في أن يتقرب إليه رفقائه ويتمنى أن تصير بينهم وبينه صداقة، لكنه لو اكتفى بالأمل وحده لما تقربوا منه، فالأمل والأمنية والطموح لابد أن يتبعهم عمل، حتى ولو كان ذلك العمل مجرد الحديث بصوت عال ليدرك رفقائه أنه لا يعاني من إعاقة ذهنية، وإلا لظلت المسافة التي بينه وبينهم كما هي ولا ذاب جليد هذه العلاقة. وبدأ أصدقائه يكبرون معه ينظرون إليه وهو يفعل كل ما يفعلونه بقدم واحدة غير مكتملة مما أشعره بأنه

يمتلك موهبة لا يتمتع بها أحد من أصدقائه، وبدأ يشترك معهم في النشاطات الجماعية، يتحدث إليهم ويتحدثون إليه، وصارت ثقته بنفسه تنمو يوم بعد يوم، إلى أن آمن أن لكل شخص موهبته الخاصة التي حاباه الله بها دون غيره، وكل ما عليه هو أن يجدها في البداية ثم يحاول استغلالها الاستغلال الأمثل. وإذا لم يستطع أن يتعرف على موهبته، فليجلس ممسكًا بورقة وقلم ويكتب قائمة بكافة النشاطات التي يفضلها، ويفكر جيدًا في أي هذه النشاطات يبرع فيها عن الأخرى ثم سيجد نفسه يستهويه نشاط معين عما سواه، وسيلاحظ أنه أكثر سعادة وهو يمارس ذلك النشاط أو تلك الهواية عن غيرها من الأمور، أو ليسأل نفسه عدة أسئلة مثل، ماهو الأمر الذي تفعله وتنسى الوقت تمامًا وأنت تفعله؟ أو ما الشيء الذي لا تمل من فعله ؟ ثم ماذا يقوله الناس عنك ؟ هل يصفونك بأنك تمتلك قدرات تحليلية، أم قدرات تنفيذية أكثر؟ وإذا لم تكن متأكدًا من إجابات هذه الأسئلة فعليك أن تسأل أصدقائك، وأفراد عائلتك، وجميع من تظن أنه يعرفك

جيدًا، فلكل منا طريقه في الحياة، وإجابة هذه الأسئلة هي التي تحل اللغز الذي يفتح باب ذلك الطريق، لقد اضطر نيك إلى الحديث عن كافة الأمور العادية التي تحدث له كل يوم في البداية ليبرهن لأصدقائه أنه شخص طبيعي، فهذا إذًا هو التكتيك الأول باستراتيجية نيك للتغيير الكامل.

إيجاد الطريق

من بين أكثر المواقف التي أثرت في حياة نيك أنه كان يتحدث إلى مجموعة من الطلاب ربما بلغ عددهم إلى ٣٠٠ طالب وطالبة، وكانت تلك هي المرة الأولى له التي يتحدث فيها أمام عدد كبير كهذا، تحدث معاناته منذ ولادته وتشارك عهم مشاعره وحقيقة ما يؤمن به من كل قلبه. أثارت كلماته بكاء الكثيرين إلا أنه كان يتحدث إليهم وهو يرى أن نقص جسده لبعض الأعضاء الحيوية هو ما جعله يفكر فيما يمتلكه، وإذ بفتاة من المستمعين تنفجر بالبكاء، ربما أثارت كلمات نيك في نفسها ذكريات مؤلمة، وأذهله ما رآه منها، حيث رفعت يدها واستئذنت الحضور بأن تعانق نيك، وكان نيك في حاجة إلى أن يعانقه شخص غريب كي يشعر بدفء مختلف عن ذلك الذي يشعر به بين أحضان عائلته، بالفعل قامت الفتاة، وسارت نحوه وهي تجفف دموعها ثم عانقته وبكى جميع الحاضرين في تلك اللحظة، حتى نيك الذي كان ينظر إلى الأمور

من زاوية إيجابية منذ قليل، بكى لمجرد ذلك الشعور الغريب الذي شعر به لأول مرة في حياته، ثم ابتسم مرة أخرى، حين همست في أُذنه "شكراً لك لقد بدأت أنظر إلى نفسي بطريقة أفضل بسببك، لم يخبرني أحد قط بأنني فتاة جميلة، ولكنني أرى الآن ما بداخلي من جمال، وأراك جميلاً فلا تحزن"

لم تكن ابتسامة نيك بسبب أنه وصفته بالجمال، ولكن ما أسعده بحق أنه استطاع أن يساعد هذه الفتاة ويلهمها بأن تُغير نظرتها إلى نفسها، وحين يشعر المرء بأن تجربته ألهمت أناس آخرون على التغير للأفضل لابد أن ذلك يعطيه الحافز الكافي للاستمرار في تحدي الصعوبات التي تقابله وتعطها القوة اللازمة لعدم الاستسلام، فكما استفادت هذه الفتاة من حديثه، استفاد هو الآخر، فقد أدرك أنه يملك لغة مؤثرة يستطيع أن يغير بها نظرة شخصٍ ما إلى نفسه ويخرجه من مأساته، فقد أدرك أن كونه معاقًا ويختلف كثيرًا عمن حوله لابد وأنه يحمل شيئًا مميزا لهذا المجتمع، ووجد أن حديثه عن معاناته على سبيل المثال أمرٌ يفيد المجتمع لأنه يجعل الكثير ممن لا يثقون بأنفسهم يستطيعون الاعتماد على حديثة لتغيير ذلك الأمر،

فلم يكن أحد ممن يستمع إليه قد مر بما مر به هو من معاناة، لم يكن هناك أحدٌ من بينهم أرادت عائلته التخلص منه بوهبه للتبني، أو رفضت والدته أن تحمله. صار نيك منذ ذلك الحين على يقين من أنه يستطيع أن يحدث فرقًا في حياة الآخرين، فصار يلقي الخطب في المدارس والكنائس ودور رعاية الأيتام والسجون والمستشفيات ومراكز إعادة التأهيل والاستوديوهات، يعانقه الكثير من الناس، وبعد كل عناق يوقن أن من قام بمعانقته لديه الآن خطط جديدة وشكل آخر للحياة، فقد وهبه الله جسدًا لايستطيع أن ينهض أو يرفع نفسه به، لكنه منحه خطابًا يستطيع أن يحمل به أرواح الآخرين ويوصلهم إلى التصالح مع النفس ويجعلهم يعلون من قدر أنفسهم.

حقق ما تحلم به

لا ضرر بأن ننظر إلى الحياة على أنها قاسية فربما يمر الإنسان فيها بمواقف يظن أنه لن يستطيع الخروج منها، كمن سقط في حفرة عميقة ولا يجد سبيلاً للخروج منها، قد تكون هذه الكلمات صادمة، ولكننا جميعًا ندرك أن ذلك يحدث، وقد يحدث ذلك الأمر لأي شخص في أي وقت، هذ لأننا جميعًا محدودي النظر، لا ننتظر أن يأتي من وراء الأمور السيئة والمواقف الصعبة إلا الأصعب والأكثر سوءً، والحقيقة هي أننا قد تؤدي المأساة بنا إلى أمور أفضل بكثير مما نعتقد، فننتظر أن يحدث الأسوأ، وحين تمر بنا اللحظات التي قد تغير من كل شيء، وتقلب الأمور السيئة رأسًا على عقب، وتحول تلك المحن والمصاعب إلى أغلى وأثمن لحظات حياتنا، قد لا نعيرها انتباهنا لأننا ننتظر أمرًا آخرًا، هذا بالطبع إذا استطعنا أن نتخطى هذه المحن ونظرنا إلى المستقبل، فسواءً كنا نرى أن حياتنا جميلة إلى حد ما ولكننا نريد أن نجعلها أفضل، أو كنا

نعتقد أنها سيئة ونريد أن نغيرها، فلن يفيدنا التمني والتراخي عن القيام بما يلزم للتغيير. ربما يظن البعض أنه ليس عدلاً أن يولدوا فقراءً، ولكن هذا هو الواقع ولن يستطيع أحدًا أن يغير واقعه بالتمني، بل بالعمل والاجتهاد والسعي وراء ما يريد أن يكونه، ولا تنتظر أحدًا ليغير ما تريد أن تغيره أنت، فليس هناك أحدٌ قد يفعل ذلك نيابة عنك، بل عليك أنت تفعل ذلك بنفسك.

كان والدي نيك قلقين بشأن مستقبله ووظيفته، وخططا لأن يؤهلاه للعمل في مجال المحاسبة، حيث أنه أمر لا يتطلب مجهودًا عضليًا بقدر المجهود العقلي وهو يستطيع أن يكتب من خلال قدمه الصغيرة، خاصة وأنه موهوب في هذا المجال، فلديه موهبة فذة في الجمع والطرح والضرب منذ نعومة أظافره دون استخدام الآلة الحاسبة، لكن نيك رأى أنه لا يطمح أن يكون كذلك، فعليه أن يجد طريقه الخاص، وأن ينظر إلى ما وراء الحدود التي تقيده، لأن الحياة عبارة عن سباق كبير يشارك فيه البشر جميعًا، ومن يتكاسل عن النهوض كلما

سقط، ظل في مؤخرة الصف طوال حياته إلى أن وضع قدمه على الطريق الصحيح

في احد صباحات الآحاد حدث أمريستدعي الوقوف أمامه إذ لم يكن كغيره من الصباحات التي ألقى فيه نيك خطبه وأثر بالموجدين، لم تكن هناك علامة تشيرإلى ذلك أو أي شيء يوحي بالاختلاف. دخل نيك إلى الكنيسة في صباح ذلك اليوم على كرسيه المتحرك وجلس في أحد الصفوف الأمامية، وبدأ كورس الكنيسة في الغناء، فيما راح نيك يعد خطابه في ذهنه، امتلآت الكنيسة بالحضور، كان عمرنيك حينئذ خمسة عشرة عامًا، وكانت الكنيسة قريبة من منزله في ذلك الوقت، فمعظم الحضور يعرفونه جيدًا، وهذه كانت أول مرة يقوم فيها بإلقاء خطاب بين أناس يعرف معظمهم، فقد زار أماكن كثيرة حول العالم وتحدث إلى الموجودين هناك عن تحديه الذي قبله ولم يستسلم إليه، تاركًا وراءه طاقة عظيمة من الإيجابية، إلا انه لم يفعل ذلك بالقرب من منزل العائلة الجديد في كاليفورنيا، ومن بين صوت غناء الكورس إذ بصوت يصدر من الصفوف

الأخيرة وينادي" نيك" لم يكن نيك يدرك في بداية الأمر أن هذا النداء له، ولما تكرر النداء اكثر من مرة التفت نيك حوله ليرى رجلاً يشير إليه ليريه رجلاً يحمل طفلاً صغيرًا، نظر نيك لى الطفل ولم يستطع أن يراه جيدًا فقد هناك زحام كبير من حوله، إلا أنه رأى طفلاً جميلاً باتسامة ساحرة، رفع حامل الطفل الصغير إلى الأعلى، وأدرك نيك أن ذلك الطفل الصغير وُلد في حالة جسدية مماثلة لحالته وهو طفل لم يتعدى السنة والنصف من عمره، نظر نيك إليه وأدرك أن عائلة هذا الطفل تعاني الآن ما كانت تعانيه عائلته لسنوات طويلة من القلق، لكن دوشكا وبروس لم يكن أمامهما النموذج الحي على شخص ناجح في حياته مثلما كان نيك نموذج لعائلة الطفل الصغير، لننظر إذاً إلى احتمال الاستسلام الذي فكر به بروس ودوشكا في بداية الأمر مع نيك، ماذا لو تركاه لجده أو وهباه للتبني، ما أثر ذلك على حياة الطفل المعاق الصغير وعلى الكثير من الأطفال التي قد تولد بمثل هذه الحالة حول العالم، بل ماذا لو لم يتحدث نيك تجربته؟ هذه أسئلة كثيرة تحمل إجابة واحدة، وهي أن

المرء حين يصبح نموذجًا ناجحًا يجب أن يستفيد الآخرون منه، فالشخص الناجح يؤثر في نجاح مجتمعه على عكس هؤلاء الذين يتركون أنفسهم إلى السلبية، التي يعرفها المجتمع المصري بنسبة كبيرة، كما ذكرنا من قبل في تجربة نيك مع حي منشأة ناصر، وحين ينظر شخص متعلم قد كافح واجتهد من أجل الحصول على مكانة كريمة في المجتمع، ثم يتخرج ليجد الكثير من أمثاله يعملون في أي شيء ربما لا يناسب مؤهلهم أو لا يحتاجون فيه إلى حصيلة علم السنوات التي قضوها في السعي وراء العلم، يصاب بخيبة الأمل ولا يقبل تحدي سلبية هذا المجتمع، ويقبل بالفرص المتاحة دون أن يفكر في أن يصنع قدره و مستقبله، لأنه في هذه اللحظة نظر إلى حياته وكأنها ستنتهي في ذلك العمل، أما لو أدرك جيدًا أنه سيحصل على الوظيفة التي يريد بعد فترة وسيترك عمله الذي لا يحبه، لظل يراجع ما تعلمه فيما مضى، بل زاد عليه تعلم احتياجات سوق العمل الخاص بهذه الوظيفة وأعد نفسه جيدًا وظل مترقبًا للفرصة، وستأتيه هذه الفرصة في موعدها تمامًا لأنه أعد نفسه

جيدًا لاستقبالها ولم يستسلم إلى وضعه الحالي بل ظل على دأبه ونشاطه في السير تجاه الطريق الذي يريده، بالطبع لا يأتي ذلك إلا بعد أن يدرك الإنسان انه لابد وأن هناك شئ مميز خلقه الله به، ثم يعرف ما هو مميز به ويبدأ في ضع خطة لاستغلال هذه الميزة، دون أن يكن سلبيًا يتأثر به غيره، ويترك أهداف حياته تضيع هباءً، كانت هذه نقطة التحول الثانية في حياة نيك، الأولى حين عانقته الفتاة أخبرته أنها بدأت تنظر إلى حياتها بشكل مختلف بسبب خطابه، مما جعله يدرك الطريق الذي يجب أن يسير فيه، والثانية ذلك الطفل الصغير الذي عرف نيك بعد ذلك أن اسمه دانيال، وقد كان دانيال دليل حي على أن اختيار نيك لطريق كان صائبًا، أيقن أن عليه الاستمرار على هذا المنوال، لأنه استطاع حقًا أن يصنع الفرق الذي أراده، فهو على يقين أن تجربته ستؤثر بالإيجاب في حياة ذلك الطفل حتى نهاية عمره، وكما ألهم خطاب نيك الفتاة الي عانقته فقد ألهمته هي أيضًا بالطريق الذي خُلق من أجل السير فيه، استفاد نيك من دانيال أيضا بإدراكه أن حياته ذو قيمة حقيقية، ربما لن

يستطيع أن يؤثر في حياة العالم بأسرها لكنه على الأقل سيؤثر في حياة الكثير ممن سمع أو قرأ عنه بالإيجاب، خاصة هؤلاء الذين يواجهون تحديات صعبة في حياتهم، عليهم أن يؤمنوا بأن لا شيء يأتي مصادفة، فلم يخلق الله موقفًا ولا لحظة ولا مولودًا صدفة، بل كل شئ يسير بشكل منظم، فلقاء نيك بدانيال ليس مصادفة بل أمر ضمن خطة إلهية سيكون لها أثرها وتداعياتها في المستقبل.

حياة ذو معنى

كان مشهد دانيال مع نيك سرياليًا، شاب في الخامسة عشرة من عمره ينظر إلى طفل يجسد له نفسه وهو صغير، مما جعله يتذكر كل المآسي التي مر بها، وما أخبرته أمه عن كونها رفضت أن تحمله، ربما منع عائلة دانيال من أن يفعلوا به كذلك ما سمعوها عن نيك، بعد أن أدرك أن الله خلقه مختلفًا لهدف وظل يبحث عنه إلى أن وجده، وقد سبق أن قرأ دلالة بكاء تلك الفتاة التي عانقته، وهو الآن يقرأ دلالة الطفل الذي يجسد له طفولته هنا بجواره، وأيقن أن رؤيته لهذا الفتى هي رسالة بالتخفيف عن مأساته وإمداده وعائلته بالطاقة الإيجابية ومساعدته على أن يجد طريقه الخاص، وأن يستجمع قواه.

بالطبع لن نجد في حياة نيك كافة الإجابات، لأننا لا نواجه التحدي الذي واجهه هو، ولا بد أن يكون ما يواجهنا هو أقل مما واجهه نيك متحدي الإعاقة، فقد أتى الحياة بجسد غير مكتمل لكن ذلك لم يوقفه عما أراد أن يكون ولم يختر الطريق الأيسر كما أمره

والده بل اختار ما رأى أنه خُلِق ليكونه، ربما لم يمر نيك بتجربة فقدان الوالد أو الوالدة، لكنه لو حدث له مثل هذا الأمر لن تؤثر به بالسلب كما تفعل مع الكثير مما نراهم من حولنا.

التقى نيك بدانيال مرة أخرى بعد أن أصبح عمر نيك ٢٤ عام، وعانقته والدة، وقالت له أن الله قد أرسله إليها برسالة ليعلمها كيف تتعامل مع ابنها، ثم التقت بوالدته ووالده وكان هناك الكثير ليتحدثوا بشأنه، وكان نيك سعيدًا بما تركه في نفس هذه الأم من مشاعر تجاه مستقبل طفلها، فلم تكن مجرد أمنيات، بل أمامها واقع تنظر إليه بعيونها، وتكررت زيارتها إلى عائلة نيك وراح كل من بروس ودوشكا ينصحانها بعدة نصائح استفادت منها كثيراً، وأدركت أن الحياة ليست لها حدود، حتى بالنسبة لمن خُلق بلا أطرافه الأربعة، ولم يكن دانيال وحده المستفيد، بل كان نيك أكثر استفادة من ذلك الطفل، حيث ثبت نيك قدمه في طريقه وأيقن أنه يسير في الاتجاه الصحيح الذي خُلق من أجله.

حياة المشاركة

لقد أثر نيك في حياة الكثيرين بتحديه لإعاقته، ولكن من الذي أثر في حياة نيك ليجعله يفعل ما يريد ولا يرى الحدود التي وضعها في حياته كل من والده ووالدته، إنها هيلين كيللر(يونيو ١٨٨٠ - يونيو ١٩٨٦) هذه الكاتبة الأمريكية العظيمة، والناشطة الاجتماعية المعروفة، التي تحدت إعاقتها وشكلت معجزة بشرية على الأرض لكي تثبت لكل من بعدها أن الحياة بلا حدود.

أُصيبت ميللر بفقدان السمع والبصر في آن واحد وهي لم تزل طفلة بنت عامين، وهي التي قالت « إن الإخلاص يجب أن يكون للهدف الذي يستحق ذلك" وما كان آثر ذلك في حياة نيك، وماذا كانت قراءته لهذه الجملة؟ هل كانت تعني ميللر أن نترك ما لا يستحق دون أن نجعله شيء يستحق العناء، دون أن نجمل صورة القبح نفسه أم كانت تعني البحث عما وراء السعادة والرضى عن النفس وإيجاد معنىً للحياة؟! أدرك نيك أن معنى

حياته هو تغيير حيوات الآخرين إلى الأفضل، وإحداث الفارق الإيجابي مثلما فعلت ميللر، لقد جعلت ميللر الخيارات مفتوحة أمام الصم والبكم ليصبحوا ما أرادوا كما أصبحت هي، ففي حال كانت مدرستها تكتب لها الحروف على يدها لتشعر بشكل الحرف، كانت ميللر تفكر في ماذا ستفعل بما تتعلمه الآن وقد أصبحت ما أرادت أن تكونه، هذه صورٌ حية على أن الإنسان هو الذي يضع حدود حياته، لأن الحياة في الأصل ليس لها حدود، ويستطيع كل منا أن يصنع الفارق الخاص به حتى ولو كان عاجزًا، وليقرأ من يشك في ذلك خطاب الفتاة المجهولة التي أرسلت هذا الخطاب إلى موقع» الحياة بدون أطراف«على شبكة الإنترنت ونصه كالتالي:

عزيزي نيك

لا أعرف كيف أبدأ ولكنني سأبدأ بتقديم نفسي، إنني فتاة في السادسة عشرة من عمرها، وأريد أن أشكرك على مساعدتي، فقد شاهدت الفيديو الذي تطلق عليه « رغم أنني بلا أيدي أو أقدام إلا أنه لا يوجد بحياتي ما يقلقني، لقد ساعدني ذلك على الشفاء، بعد أن خضعت للعلاج في المراكز الصحية في أكثر من مكان إلا أنني لم أشعر أنني بخير، أو أن هناك أمور تستحق الحياة من أجلها إلا بعد أن شاهدت اسطوانتك، فكل كلمة تخرج من فمك، كان لها أثر داخلي، لدرجة أنني أصبحت ممتنة وشاكرة لنعمة الحياة التي كنت أمقتها، بعدما مررت به من أوقات عصيبة ظننت فيها أن هذه هي النهاية، ولكنني أيقنت الآن أن لحياة كل شخص مغزىً مختلف عن حياة الآخر، وكلما زاد من عدد من يسعى وراء هدفه ومغزى حياته، كلما تطور المجتمع وتقدم، فهؤلاء الذين يظنون أنهم لن يستطيعوا أن يحدثوا فرقًا في حيوات من حولهم، يحدثون فرقًا لكن من نوع آخر، وهو الإيحاء بالسلبية للمحيطين بهم، ولكن الطريق

إلى أنفسهم دائمًا موجود عليهم فقط أن يُعلوا من قدر أنفسهم، وأن يحولوا تلك الطاقة السلبية بداخلهم إلى طاقة إيجابية تمامًا كما فعلت أنت بعجزك الذي صنعت منه المعجزة، لقد كان من الصعب عليَّ أن أضحك لأنني لا أستطيع التوقف عما يظنه الناس بي، وقد أصبحت بفضلك لا أكترث لما يقوله الآخرون عني، وأفتخر بما أنا عليه، وأبحث عن طريقي الخاص، إنني لا أعرف كيف أشكرك ولا أظن أن هناك كلمة تكفي لوصف مدى شكري لك، أريد أن أذكر لك أمرًا آخر، وهو أنني أريد أن ألتقي بك، لأنك منقذي»

الاستغلال الأمثل للحياة

كان في استطاعة نيك أن ينهض بحياته وينمي من نفسه دون النظر إلى الآخرين، لكنه لم يكن لينظر إلى نفسه فقط وقد كان ملهمه في ذلك قلق والدته ووالده على مستقبله، فقد استطاع نيك أن يُثبت لكل من حوله بل لجميع من يعرف قصته من مختلف بلدان العالم تجربة تحديه لإعاقته وقبوله للتحدي الذي بدا أمرًا عظيمًا في البداية إلا أن عظمة هذا الأمر قد تهاوت سريعًا بمجرد نظرة نيك وعائلته للأمر من ناحية إيجابية، وبات ذلك الطفل الذي تنبأ الجميع له بالتعاسة والمأساة قدوة للكثير، كما أفاد المجتمع بمشاركته لمعاناته وتحديه أمام الجميع وعلى شاشات مختلف الوسائط الإعلامية، لأنه أدرك اولاً أن الحياة بلا حدود، ثم بحث عن طريقه الخاص فوجده، وبدأ في المسير وبعد أن حقق بعضًا من أحلامه شارك قصة نجاحه في تحديه مع الآخرين، ثم علم من ردود أفعالهم المختلفة باختلاف طبائعهم، أن هناك الكثير ممن تغير للأفضل بسبب ما سمعه منه أو عنه، في حال يفكر الكثير في التخلي عن هدفه

والتفكير في الأمور القريبة التي تدر الأموال، يبحثون عن المكسب السريع الذي قد يزول عنهم في أي لحظة، ولا يفكرون في أن بإمكانهم أن يكونوا أفضل مما هم عليه الآن، فقد فقدوا روحانيتهم وامتثلوا للعالم المادي وامتلأت نفوسهم عن أخرها بالتفكير فيما هو ملموس، فحين يُعرض على شخص ما وظيفة براتب مقبول، وهو يفكر في استكمال الدراسة، لا يبحث عن وظيفة قد تكون أقل منها في الراتب ويُكمل في الوظيفة الأخرى باقي حياته لأنه يشعر فيها بالأمان، هو يدرك أنه لن يستطيع تحدي الظروف لو خاطر وترك مثل هذه الوظيفه، لكنه إذا كان متيقنًا من كونه أفضل من أن يقبل بوظيفة تضع لحياته حدًا فهو يؤمن بأن حياته بلا حدود، سنجد الشخص الذي أخذ خيار الوظيفة ذات الراتب المعقول، يظل في مكانه لبقية حياته، ولكننا سنجد الآخر يتقدم في حياته على جميع المستويات، بدءًا من ملبسه مرورًا بالمكان الذي يعيش فيه ويستفيد من تجربته الأخرون، لأنه لا يصدِّر طاقة سلبية لمجتمعه، أو لمن حوله حتى ولو على العدد القليل منهم، سيترك في نفس من يعرفونه أنه كان بإمكانه دائمًا أن يكون افضل، فالسعادة الدائمة

شيء لا يجب علينا البحث عنه علينا أن نجد الأمور التي نريد أن نكونها أولاً، ولنأخذ مثال آخر على من هم أكثر مادية من ذلك، وليكن أحد هؤلاء الذين يُنفقون الكثير من الأموال ليتمتعوا ببشرة أجمل، أو يخضع لعملية جراحية من أجل أن يكون أكثر نحافة أو شيء من هذا القبيل، لتسمو فوق كل ذلك وتنظر إلى نفسك نظرة إيجابية وحاول استغلال كافة قدراتك وإمكاناتك لتصبح أفضل، لأن النظر إلى الإيجابيات يُجنب المرء من الانهماك في أمور كثيرة مثل الإدمان وعدم التفكير في المستقبل وصرف النظر إلى الترفيه والتسلية لا إلى فعل شيء مفيد وهو ما يسميه نيك بالاستغلال الأمثل للحياة، لأن قيمة هذه الحياة لا تتجسد في قيمة ما يملكه بل في قيمة ما يكونه، فهناك الكثير ممن يملك جسدًا مثاليًا، لا يشعر بالسعادة التي يبحث الآخر عنها، ومن هوى غني أيضًا لا يشعر بما نظنه عليه من سعادة ولكن من يحقق كل يوم جزءًا ولو بسيط من أهدافه فهو الذي يشعر بها حقًا.

لماذا نفعل كل هذا؟

جميعنا يعرف كلمة» لو» جيدًا لأننا إذا لم نستخدمها فكثيرًا ما نسمعها ممن حولنا، فنجد أحدهم يقول» لو انني أملك كذا! أو لو أنني أستطيع ان أفعل كذا!، تمامًا كما تمنى نيك في البداية لو أن له أطراف لصار سعيدًا، لكنه أدرك فيما بعد أن هناك الكثير من البشر ممن خُلقوا في كامل صحتهم وهم غير سعداء، كما أدرك أيضًا أن كونه خُلق مختلفًا عمن حوله لابد وأن له سبب، وقد عرف ذلك السبب حين تعرف على عائلة دانيال، وذكته بتلك الدلالة تكرر رؤيته لعائلة دانيال، حيث صارت هناك علاقة صداقة تربط بين العائلتين، وتبادلت العائلتين أطراف الحديث، وراحوا يقدمون تجاربهم ويقارنوا بين طريقة معاملة كل منهم مع التحدي الذي قُدر لهم، وصارت بينهم روابط قوية، ثم في أحد الزيارات أخبرتهم والدة دانيال أن الطبيب قال أن ابنها غير مستعد للكرسي المتحرك المشابه لكرسي نيك، وقد كان نيك قد حصل على كرسيه قبل أن يصل إلى عمر دانيال الآن إلى أنه فطن إلى أن والدة دانيال لا

تصدق ذلك، فترك نيك مكانه على الكرسي المتحرك، وإذ بالطفل يبلي جيدًا ويقوم بمداعبة عصا التحكم بالكرسي فيتحرك الكرسي ويبتسم الطفل ابتسامة توحي بالأمل، فقد تمتع دانيال بالفرصة لكي يثبت لعائلته أنه يستطيع أن يتعامل مع الكرسي المتحرك الآن، وذكره قلق والدة دانيال على طفلها خشية سقوطه من على الكرسي بقلق والديه عليه تجاه نزوله إلى الماء، إذ لم يكن والده يصحبه إلى حمامات السباحة أو الشواطيء لأنه يخشي عليه الغرق، ولكن حين أصر نيك على نزول الماء، أخذه والده معه إلى الشاطئ ونزل به إلى البحر وأخذ يعلمه طريقة السباحة غير أملاً في أن يستفيد ابنه من ذلك في شيء، فقد كان والده ينظر إلى قدرات نيك الجسدية المحدودة، لكن نيك تعلم السباحة، فلم يخشى الغرق، بل رأى أن عليه ألاأنأن يقبل ذلك التحدي فلن يعيش طوال عمره ينظر إلى من ينزل البحر ويتمنى لو أنه يستطيع أن يفعل مثلهم، وبات ذلك الطفل الذي كان يخشى عليه والده من نزول الماء، سباح ماهر لا يخشى شيء، أمورًا كلها تبدو وكأنها من محض خيال كاتب أو مبدع ولكنها حقيقة واقعة متجسدة في شخص لم يزل حيًا يثبت أنه

يستطيع أن يقبل المزيد من التحديات ولا يستسلم للظروف مهما كانت قسوتها، وحينما سرد نيك تلك القصة لعائلة دانيال اقترحوا عليه أن يراه دانيال وهو يسبح وقد كان ذلك بالطبع بعد أن كبُر دانيال وبات يستطيع المشي، وبمجرد أن رأى نيك يسبح، راح يقول «أريد أن أسبح مثل نيك» وهو الآن يسبح بشكل جيد، وكلما تعلم دانيال من نيك شيئًا أو استطاع تقديم نصيحة لوالديه صار نيك أسعد من ذي قبل، لأن ذلك الطفل الذي نظر إليه الجميع فيما مضى على أنه لن يستطيع ان يساعد نفسه في الأمور الصغيرة بات يساعد الآخرين ويمثل نقطة تحول في حياتهم، بل ويغير من نظرتهم للحياة بأكملها، وأدرك قيمة حياته، التي كان يُمكن أن تضيع هباءً لو استسلم نيك لتلك الظروف، ويجب أن يكون الجميع على يقين من أنهم لديهم قدرات خاصة، يستطيعون بها أن يصنعوا فارقًا في حياة الأخرين، ربما لايستطيع المرء أن يرى قدرته الخاصة في البداية لكنه سيجدها حين يبحث عنها جيدًا، وكلما زادت قيمة ذلك الشخص كلما كان من الصعب أن يجد ما يتميز به عن غيره من البشر، فإذا بحث أحدكم عن الأمر الذي يجعله يصنع الفارق

وقابلته صعوبات جمة في ذلك فليدرك جيدًا انه يبحث في داخله عن أمر عظيم، لأن الله لا يرتكب أخطاءً، بل يفعل كل شيء عن علم، فهو خالق جميع العلوم، وهو صانع المعجزات وقد جعل نيك أحد هذه المعجزات، فليكن أحدنا المعجزة التالية، وليقبل كل منا بالتحديات التي تواجهه وينتصر عليها، فلاشئ مستحيل.

الفصل الثاني

بلا أطراف لكنه أيضًا بلا حدود

لقد رأى نيك الكثير من الأمور التي تستطيع النفس البشرية أن تفعلها، وتلك القوى التي لا حدود لها التي يمتلكها الإنسان في مكان ما داخله دون أن يدرك بوجودها، إلا إذا احتاج إلى استخدامها، ولكنها لا يراها هؤلاء الذين يظلون متعلقين بالأمل، دون أن يتخذوا خطوة واحدة تجاه ذلك الأمل الذي يلمع أمام أعينهم في كل يوم بل كلما يتنفسون، فكل شهيق وزفير دليل على أن هناك الكثير مما يمكن للإنسان القيام به، ولكن ماهو الأمل؟ الأمل هو بداية جميع الأحلام، وهو صوت الهدف من الحياة الذي ينادي على صاحبه ليحققه، ويؤكد له في كل لحظة أنه موجود، فربما لا يستطيع المرء التحكم فيما يحدث له ولكنه يستطيع دائمًا أن يتحكم في استجابته لهذه الأحداث، وقد قال «مارتن لوثر كينج « إن جميع الإنجازات التي تحدث في بلاد كثيرة حول العالم هي وليدة لحظات من الأمل» ربما لسنا سوى مجرد بشر لا يُمكننا رؤية المستقبل، ولكننا نرى الاحتمالات التي يُمكن أن يكون عليه ونتحكم في

تشكيل تلك الصورة بالقدر الذي تستطيعه.

زار نيك الكثير من البلدان التي عانت من الكوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات وبراكين، مثل الصين والمكسيك وغيرها من البلدان، وتحدث إلى العائلات التي فقدت أطفالها، وللأطفال الذين راح ذويهم ضحايا لهذه الكوارث وأسعده أنه استطاع أن يخفف عنهم بعضًا من معاناتهم، وأكد لهم أن الأمل موجود في كل لحظة من الحياة حتى في أكثر ظروف الحياة قسوة، ولكنه أدرك أن معاناته لم تكن شيئًا بمقارنة هؤلاء، فلقد أدرك هذه التجربة وكم هو قاسٍ أن تفقد شخص تحبه حين فقد «روي» ابن عمه الذي راح ضحية مرض السرطان وهوفي ريعان شبابه في سن السابع والعشرين من عمره، كانت تجربة جديرة بتحطيم القلوب وتعتيم صورة الغد في عيونه إلا أنه كان يؤمن من داخله أن كل شيء يحدث بسبب، وأن قدرة الإنسان تتخطى تحمل كل ما نمر به من محن دون أن يعيقنا ذلك عن بلوغ ما نطمح إليه، ولننفض عن أرواحنا غبار المأساة، يجب أن يبحث المرء عن الأمل ويسعي في تحقيقه لنقرر ذلك الآن، وندع التمني والتسويف لهؤلاء الذين لن يفعلوا شيئًا ذو قيمة في

حياتهم. إن نيك هو مجرد إنسان، ولا يملك بالطبع إجابات كافة الأسئلة فلا يوجد شخص كذلك، لكن على كل إنسان أن يبحث عن إجابات لأسئلته، ربما يساعده في ذلك بعض التجارب كتجربة نيك وميللر وغيرها من تجارب تحدي الإعاقة، أو النماذج الناجحة من حولهم الذين استطاعوا أن يحققوا أنفسهم، وأن لا يشعروا بالعجز أبدًا، لأننا جميعًا تربطنا الكثير من الروابط فالتجربة السلبية تؤثر بالسلب في المجتمع المحيط بها، على عكس التجارب الإيجابية التي تنهض بمجتمعها، وتجعله يواجه أسوأ مخاوفه ولايستسلم لما يواجهه من صعوبات وتحديات.

هبة قوية من الله

انظر حولك جيدًا يتجد أن هناك دروس كثيرة يمكنك أن تتعلمها، فنظرة واحدة من حولك يُمكن ان تغير حياتك بالكامل، لقد عرفنا الفتاة التي ألهمت نيك وغيرت حياته تمامًا لم تكن سوى بعض اللحظات ولكنها تركت أثرها في حياة نيك لسنوات بل إلى الآن، فكل ما يعيشه نيك الآن وتصميمه على تحدي إعاقته والبحث عن طريقه الخاص الذي يرى أنه خًلق ليسير فيه، سنجد كل ما أثر فيه هو عبارة عن مجموعة من المشاهد، فحين ذهب إلى الصين في عام ٢٠٠٨ بعد عدة شهور من الزلزال الذي دمر الكثير من المنازل ويَتم آلاف الأطفال، لم يكن هدف نيك من زيارته للصين رؤية أحد عجائب الدنيا السبع ولكنه كان يبحث عن معنى وقيمة جديدة لحياته، وأثار دهشته حين ذهب إلى لمشاهدة العرض الراقص لأربعة ألاف فتاة بأحد دور الأيتام، ورأى فرحة تملؤ المكان بأكمله، لم يكن يستطع أن يتحدث إليهم أو أن يخفف عنهم لأنه لا

يتحدث لغتهم، ولكنه أبهره أداء هؤلاء الأطفال، ورغم فقدانهم لذويهم ومنازلهم وكافة أشيائهم، وها هن يبدون في غاية السعادة ويمارسون فنًا رفيعًا، بعدما ابتلعت الأرض ماضيهم بأكمله، وإذ هم يشكلون مستقبلهم بسعادة ويخطون فوق ما مروا به من مآسي، وينظرون إلى بارقة من الأمل علهم يستمدون منه الضوء الذي يملأ أعينهم بالفرحة والنشوة، وكما ألهم نيك الكثير وجعلهم ينظرون إلى حياتهم بشكل أفضل، ظل أمام هؤلاء الأطفال يستمد منهم القوة، التي كان يشعر بأن أعينهم تشع بها وأخبرهم عن طريق مترجمه أنه معجب جدًا بشجاعتهم، وحثهم على أن يتطلعوا دائمًا إلى مستقبل أفضل وأن يسعوا وراء حلمهم بكل ما أوتوه من قوة.

كن شجاعًا حين تحلم

أن يحلم المرء بأن يكون رجلًا ذو مكانة عظيمة في مجتمعه هو أمر يحتاج إلى شيئين أولهما الشجاعة وثانيهما الثقة بالنفس، واليقين أن بإمكانه أن يكون أفضل مما يحلم به لأنه يستحق ذلك، فالثقة بالنفس لا تفيد بشئ دون الشجاعة، فهي أمر ضروري جدًا ليستطيع المرء أن يُكمل سعيه وراء ما يحلم به ويتخطى المصاعب ويواجه التحديات، فنحن لسنا بصدد أن نقول هنا أن الحياة سهلة، بل هي قاسية، ولكن الإنسان العاجز الذي لم يرزقه الله بيدين ولا بقدمين، استطاع أن يقهر قسوتها وينتصر على أصعب التحديات التي قد يواجهها شخصًا ما، وحين تمر بموقف صعبًا في حياتك فتذكر هؤلاء الشعوب التي تعاني من المجاعة منذ سنوات ولم يستسلموا لهذه الظروف، لقد زار نيك المناطق الأكثر في فقرًا في دول كثيرة من العالم، مثل الهند والصين وكوريا الجنوبية ومصر، بل لم ينحصر الأمر على الأماكن الفقيرة فقط، بل والسجون أيضًا

وأخذ منهم الطاقة الإيجابية فقط فقد كانت حتى سلبيتهم توحي له بالإيجابية لأن هذا هو ما يبحث عنه، لذا حين تنظر إلى من يمر ظروف أصعب من ظروفك ويتغلب عليها ليرسم مستقبله بيديه ويشارك في تشكيل ما تبقى من حياته بوضع الخطط وبحث آليات تنفيذها، عليك أن تتأثر به لتصبح ما تريد لا لتصبح ما تضعك فيه الظروف وتستسلم للتحديات التي تواجهك لأن عليك أن تنتصر لنفسك وطموحك، فهناك الكثير ممن هم أسوأ منك حالاً لكنهم لم يستسلموا، وحين تنظر إلى الجانب الآخر، الذي يوجد به من لم يثق في قدرته وترك أحواله تزداد سوءً يومًا بعد يوم، لتأخذه عبرة لك ولا تفعل مثلما فعل، فهذا هو ما تحدث عنه نيك حين تطرق إلى أن علينا أن نستغل الحياة الاستغلال الأمثل ونقرأ ما بين السطور التفاصيل التي نعيشها كل يوم فلم يكن شيء بباعث من الصدفة فلا يوجد شيء اسمه صدفه، فهذا المصطلح أطلقه من لا يستطيع تهجي الأحداث والمواقف، لأن حياتنا بأكملها تشكلها بعض هذه التفاصيل، ولم يكن الله ليخلق البشر جميعًا عن طريق الصدفة، بل لكل إنسان منا سبب ومعنى يكمن وراء خلقه، وتذكر دائمًا أن

الحزن جزءًا من الحياة لا بد وأن نشعر به، ولكن لا تتركه يسيطر عليك ويتحكم في مستقبلك، بل عليك أن تتحكم في استجابتك للمواقف الصعبة والمحن، وتخرج منها بطاقة إيجابية تشد عودك لتقوى على مواجهة الغد بعد التغلب على تحديات اليوم وأن تظل تعمل دائمًا ليكون مستقبلك أفضل من حاضرك حتى ولو كنت تحيا حياة كريمة، فالسكون والثبات ليست من طبائع الإنسان، بل هي صفات تزرعها فينا ما يوجد حولنا من طاقة سلبية

تتضائل الأمواج إلى أن تصبح مدْ

يتطرق نيك بحديثه إلى أحد أكبر الـزلازل الذي ضرب مستعمرة هاييتي، أفقر بلاد النصف الغربي من الكرة الأرضية، وأول دولة للسود على شاطئ الكاريبي، ذلك الزلزال الذي أتى بأكبر كارثة، ومر أهل هاييتي بأكثر لحظات الرعب في حياتهم، وقد شعر العالم كله بالحزن على تلك الفاجعة في عام ٢٠٠٩، إلا إن أهالي هاييتي الناجين من هذه المأساة خرجوا منها بأرواح تسمو فوق كل ما هو مادي، فقد أخرجت المأساة التي مروا بها أفضل سماتهم، وتركت في نفوسهم نورًا يأكل الظلام المحيط بهم، فنجد ماري، أحد سكان البلدة التي لم تصدق ما قالوه لها فرق الإنقاذ حين أخبروه بأن ابنها مانويل قد فارق الحياة تحت ركام أحد المنازل، فأخبرتهم بأنه كان معها في شقتهم فكيف يكون تحت أحد المنازل، لقد كانت نفس ماري تخبرها بأنها أخطأت حين لم تطمأن على خروج ابنها قبل أن تخرج من المبنى، لكنها تدرك أن ابنها أكثر منها نشاط وحركة فعمر مانويل واحد وعشرون عامًا،

وقد مر على الحادث الآن عشرة أيام دون أن يعود مانويل، ولم تجده بين الناجين، فصارت تصرخ «إن ابني حي» وعادت مرة أخرى إلى المنزل، لتبحث عن ابنها بعد عشرة أيام من دمار المنطقة التي تسكن فيها بالكامل، وكانت الجرافات تعمل في الجوار، تزيل أثار الكارثة، وتخرج الجثث لذويهم، ولكنها حين اقتربت من هناك سمعت صوت مانويل ينادي عليها، وصارت تبحث بأعينها بين كل الشقوق والفتحات بل بدأت تُزيل بيديها بعض الحجارة وتضع رأسها على الأرض لتعرف مصدر الصوت، لم يمنعها عن ذلك كلام الموجودين من فرق الإنقاذ المدني، حيث أخبروها أنهم لم يعثروا على شخص حي تحت الركام منذ مساء اليوم الرابع من الحادث وقد مر عشرة أيام على اختفاء مانويل، وحين سمعت الصوت جيدًا صرخت في الموجودين»إنني أستطيع أن أسمعه إنه حي» بالطبع ذهب بعض من الموجودين إلى هناك وسمعوا الصوت مثلها، وعرفوا مصدر الصوت باستخدام آلاتهم.

لكن ماذا لو اتسلمت ماري؟ وصدقت نبأ رحيل ابنها، فقد كان هذا ما ينطق به الجميع، ليس فقط الجيران أو موظفي الإنقاذ



المدني، بل المشهد بأكمله، فلم يترك الزلزال منزلًا واحدًا في المنطقة لم يدمره، لكنها لم تفعل ذلك، وصدقت بأن كل شيء ممكن لو آمنا به من قلوبنا، لقد كانت ثقة ماري في نفسها عظيمة، أليست هذه بمعجزة، فالمعزات دائمًا موجوده، وهي وليدة التحدي، فلو سلمت ماري بوفاة ابنها ربما مات فعلًا، تحت أحد الآلات التي تعمل في نقل الركام، فقد كان التراب والحجارة يغطيانه بشكل كامل ولم يظهر منه شيء، فهذه إذًا هي الحقيقة، وقد تبدو الحياة صعبة في بعض الأوقات كتلك التي مرت بها ماري قبل أن تجد ابنها ولكن إذا ظلت إرادتنا في تغييرها لم تثبط ولم تخمد فإنها حتمًا ستتغير إلى الأفضل.

لنؤمن بالأمل من كل قلوبنا

قد يشك الكثيرون أن كل شيء يصبح ممكنًا حين نتمسك بالأمل، ليدرك من يفكر في ذلك أنه غارقُ في اليأس تمامًا لأن ما سرده نيك من قصة ماري وابنها مانويل يُثبت أن الأمل صنع المعجزة، وعليه أن يسبح خارجًا من هذا اليأس حتى ولو بدا له الطريق طويلًا، أو كان يسبح عكس التيار، فليستمد قوته من أنه حالما يخرج إلى شاطئ الأمل سيكون ذو قيمة حقيقية يؤثر في العالم ويُضفي لمسته الخاصة على مجتمعه، لأننا جميعًا نمتلك ما يميزنا عن الآخرين، فقد كان نيك في مرحلة من حياته لا يفكر إلا في أنه سيكون دائمًا عبئًا على شخص آخرًا يحبه، وهو لا يريد ذلك، ولكنه انطلق من هذه النقطة ليصبح مثلًا أعلى للكثير من اليائسين حول العالم، ليحول حياتهم إلى حلقات من الأمل لا تنفصل عن بعضها البعض، فكما ظل مانويل مدفونًا لعشرة أيام ثم خرج لإيمان والدته بما يخبرها به قلبها، هل كانت ماري تشك في أن ابنها قد توفى؟ وهل كان والدا نيك في انتظار مولد طفلاً معاق؟ كان من المنتظر أن يغرق

كل من والدا نيك، وماري في اليأس، ففي دنيا يعجز أصحائها عن تحمل ما بها من مآسي، لا ينتظر لطفل معاقٍ حياة كريمة أو سعيدة، لكنهم جميعًا لم يتخلوا عن الأمل فتغير كل شيء.

الأمر الذي يعرفه الكثير منا أننا جميعًا نمر بلحظات في حياتنا ونرى أننا نسير كسيارة مسرعة لنصدم بجبل أو أننا سنسقط في الماء، وأننا انتهينا تمامًا بسبب حادث ما أو ظروف صعبة، أو مرضٍ خطير، لا شيء يجعل لهذه الحياة حدود، فهي غير محدودة، وبالطبع لم يفكر الإنسان الأول على الأرض في أنه سيأتي اليوم الذي تُصنع فيه الطائرات والتقنية الحديثة في الاتصال، كل تلك العلوم، لم تأتي سوى بالأمل، لقد أمل الإنسان في العصر القديم أن يأكل أو يلبس جيدًا في بداية الأمر إلى أن صارت كل آمالهم حقائق أمام أعين الآخرين، ربما منهم الكثير ممن لم يرى ذلك يتحقق، وقد رحل وهو مدكرًا لأن هناك أمور كثيرة مستحيلة، لكن ما يحدث من معجزات بشكل يومي يُثبت عكس ذلك، وإذا ظهر اليأس للمرء ظهور العيان وانتصرت الظروف الصعبة على ما بداخله من أمل، فليتذكر أنه كما خُلقَ لسبب وغاية فإنه يمر بهذه الظروف لسبب

وغاية وستزول بزوال السب ولن يبقى منها سوى الغاية، فليقف كل منا أمام أصعب المواقف التي مر به ويفكر في غايتها وليسعى لتحقيقها، فقد كانت غاية ما أصيب به والدا نيك ودوشكا هو رعاية طفلهما المعاق والأمل في تغيير شيء من المستقبل الكئيب الذي ينتظر ذلك الطفل.

لا تؤمن إلا بالأفضل

لا شك أن التفكير بإيجابية والتطلع إلى الأفضل أمر صعب جدًا، فلم يكن نيك يتخيل أن تصير حياته إلى حيث صارت عليه، أو أن تؤول به الأمور ليصبح نيك الذي ألهم الكثيرين، وحين تعود إليه الآن ذكريات أشد المواقف قسوة، أو الأيام التي كان يرى هو من حوله فيه أن الطريق أمامه مظلمُ تمامًا يدرك أن النور يأتي من داخل الإنسان، فكم من شخص رزقه الله بنعمة البصر ولايشعر بها يشعر به الأعمى من سعادة، فكلُ قد خُلق ليحقق غايته، وقد يتعب المرء كثيرًا ليدرك الغاية من وجوده إلا أنه سيدركها قريبًا إذا أمن بذلك، ولزم الأمل وتجنب اليأس، ستنتهي جميع مخاوفه وسيملك الطاقة التي يتستطيع بها الخروج من المصاعب القادمة، وقد يذهل المرء ويعجب من مدى ثقة الآخرين به في بعض المواقف، كأن يطلبوا منه خدمة ما،

في حين أنه أراد أن يفعل أمرًا مثل ذلك من قبل لنفسه ولم يستطع، ولكنه حين يسألهم كيف ذلك فيرشده بعضهم إلى الطريقة فيفعلها دون عناء. كان ذلك هو ما فعله الأطباء مع نيك حين نصح والديه أن يشترك نيك في التمثيل بمسرحية للأطفال المعاقين، واستغل مخرج المسرحية إعاقة كل شخص فيهم على اختلافها ليرسم بها حالة من السعادة، قد يبدو ذلك أمرًا تافهًا، لدرجة أن الكثير منا قد ينسى مثل هذه المواقف، ولكن نيك، لم ينسى هذا الأمر أبدًا فقد تمرن في هذه المسرحية على التعبير عن نفسه وأدرك أنه يستطيع بإعاقته هذه أن يفيد المجتمع بأكمله، وكان للأمر التافه دلالة قوية في حياته، حين يحدث أمرًا على نحو مفاجيء لابد له أن يبحث عن دلالة ذلك الموقف، فلحظات الحياة كلها يربطها شيء ما وإيجاد ذلك الرابط يفسر لنا الكثير من التفاصيل، بل ويخبرنا بما يتوجب علينا أن نفعله تجاهه، فلنؤمن بالأمل كما آمن هؤلاء المعاقين به من قلوبهم، ونكافح لتحقيق ما نحلم به، وانظروا إلى تداعيات أداء نيك في المسرحية، وأثره على

تفكير الأم نحو ابنها، لقد جعلها تفكر في أن على نيك أن يمثل مع فرقة من غير المعاقين، فلم تعد تراه معاقًا بل تراه مختلفًا في بنيته الجسدية وقد أدركت بمرور الوقت أنه يختلف كذلك في طريقة تفكيره وفي نظرته إلى الأمور وقد برهن على ذلك حين رفض أن يسير في الطريق الذي رسمه والده واختار أن يبحث عن طريقه الخاص، وقد جعلته والدته يفعل ذلك، لأنه يستحق التحرر من هذه النظرة التي ينظرها العالم إليه، فكثيرًا ما تؤثر نظرة الآخرين إلينا بشكل كبير في مستقبلنا وحياتنا إذا تركنا لهم الفرصة في جعلنا ننظر إلى تلك القيود التي يروها داخلنا، إنهم إذًا يخلقون تلك القيود لنقيد بها أنفسنا، ولكن علينا أن نتخلص من تلك القيود الوهمية ولا ندع لها الأمر برمته وننساق وراء تلك الرؤية، ولا نتخذ منها أعذارًا نختبيء وراءها من مستقبلنا، لأن الاختباء هو الوضع الذي يلزم فيه المرء مكانه ولا يتحرك ولا يريد أحد منا أن يفعل ذلك بنفسه، فلنخرج إلى الحياة ونواجه تحدياتها بصدر رحب، ونبتسم في وجه مآسينا، وهو

ما يتطلب تنشيط ما بداخلنا من قدرات كامنة ونُنمها، وأن نوقن تمامًا أن الله لايبتلي المرء بما لا يستطيع تحمله فهو الخالق والعالم بما بداخلنا من قوة، ولنستمد من الرؤى السلبية التي تُحيط بنا ما نحتاجه من طاقة لأن نصبح أفضل، ونثبت أن ما يضعونه من قيودٍ، لا تقيدنا، بل تجعلنا أكثر نشاطًا ورغبة في تحقيق طموحنا.

نيك وقصة الأطراف الصناعية

لم نرى في قصة نيك منذ طفولته سوى الأمل الذي آمن به والديه ثم هو نفسه من بعدهم، فالأمل كان كالمادة المحفزة في التفاعلات الكيميائية، وهو ما جعل تلك المعادلة التي بدت مستحيلة في باديء الأمر، تؤتي بنتائج صحية، فالأمل هو الذي يخلق الفرص من العدم وهو ما يبعث الحياة في النفوس المؤمنة به، فحين نسعى وراء أمرً ما ثم نيأس من الحصول عليه علينا أن نحث أنفسنا للاستمرار في السعي وراءه حتى ولو كان ذلك الأمر بسيطًا، حتى لا نشعر بالفشل وكي لا نصاب باليأس، وإذا بلغ اليأس منك مبلغه واستوطن في نفسك فلتدفع بنفسك نحو الأمل ليوم آخر، ثم لأسبوع ولشهر وهكذا إلى أن تحقق ماتريد وسوف وسوف تُذهل بعد تحقيقه من قدرتك وتدرك عن يقين أننا نضع حدود الحياة بأنفسنا أما هي فليست لها حدود، ولنتذكر أننا حين نستسلم لليأس يتكاتف العالم كله

علينا، وحين نؤمن بالأمل تدور الدنيا بأكملها في الاتجاه الذي نريده، وسترى دلائل ذلك في كل شيء تراه.

لم يكن النظام التعليمي في أستراليا يسمح بأن ينضم الأطفال المعاقين لمدارس الأصحاء بل كانت هناك مدارس مخصصة لهؤلاء الأطفال، ولكن والديه كافحا ليحصلا على تصريح لدخول ابنهما هذه المـدارس، وحين تم اعتماد الطلب كتبت الصحف عن احتضان المدرسة لطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد كانت تلك هي المرة الأولى، وكان نيك هو أول طفل معاق يدخل إلى مدارس الأصحاء ويتعامل على أنه شخص طبيعي، وحين انتشر ذلك الخبر تهاوت الهدايا والدعاوي على منزل عائلته، وجنت الأسرة ثمار عناءها من أجل الحصول على موافقة المسؤولين، وكثرت عروض الأثرياء بتحمل تكلفة عمل أطراف صناعية لنيك، وبالفعل حصل نيك على هذه الأطراف التي ربما كانت أثقل من كامل جسده بمرة أو مرتين، وقد كان ذلك تحديًا جديدًا فلم يكن بإمكان نيك تحقيق التوازن نتيجة وزن هذه الأعضاء وخفة جسده،

وفشلت محاولة نيك الأولى مع الأطراف الصناعية ولكنه لم ييأس وأكمل حياته وهو يؤمن أنه ينتظره مستقبل أفضل، ولم يترك ما حدث يؤثر على نظرته للحياه، بل كان يخفف عن والديه اللذين قد أصيبا بخيبة الأمل ويأسوا من أن يروا ابنهم يسير مثل الأشخاص الطبيعيين، لكنه كان يخبرهم بأنه في أفضل حال بدون هذه الأطراف، وأنهم فعلوا أكثر مما يتعين عليهم القيام به وشكرهم، وإذ بالأمل يعود إلى هذه العائلة، حين تبرعت أحد المنظمات الخيرية بمائتي ألف دولار لتدبير ما يلزم لنيك من أطباء ومهندسي تكنولوجيا ليحصل على كرسي متحرك جديد، كما ساعدوه في الذهاب إلى كندا حيث قامت عيادة لطب الأطفال بصناعة أطراف صناعية جديدة، لكنهم رأوا أنه من الأفضل لنيك نظرًا لوزنه الخفيف أن يحصل على كرسي متحرك ذو تقنية أكثر تقدمًا من كرسيه الحالي، لم يحزن نيك لأنه نظر إلى الجانب الإيجابي، فشعر بالسعادة لما قدمه له الناس من مساعدة، وآمن بأن هناك أطباء وعلماء يسخرون حياتهم لاختراع أدوات تساعد من هم في مثل حالته، وأمل أنه

عندما يكبر دانيل يجد أطرافًا صناعية مناسبة له، فلم يكن نيك ليترك عدم مواءمة الأطراف الصناعية تشعره بالحزن، أو أن تمنعه من التفاؤل، فكل شخص منا عليه أن يتحمل مسؤولية نفسه، لا نقصد هنا أن لا يسمح لأحد بأن يساعده، ولكن أن لا ننتظر مساعدة من أحد، ولكن إذا قدمها أحدًا علينا أن نرحب بها، وأن نساعد الآخرين أيضًا، فلن يحقق لك شخص أحلامك نيابة عنك.

ربما يشعر المرء في بعض الأحيان بأنه اقترب من إدراك غايته وهدفه في الحياة، ثم لا يلبث إلا أن يشعر بالعجز وأنه لن يستطيع أن يصل إلى ذلك الهدف ولن يحقق غايته، فليتذكر جيدًا أن الهزيمة والفشل لا يشعر بهما سوى الذين لا يحاولون مرة أخرى، وإن لم تفلح المحاولة، عليهم أن يحاولوا مرة بعد الأخرى وليوؤمنوا جيدًا أنه لو لم يترك الطريق الذي يريد السير فيه فلن تقف أمامه أية حواجز، فربما يتقدم العلم ويخرج منه عالمٌ يصنع الأطراف التي تصلح لنيك، لكنه لن يجلس في انتظار قدوم ذلك، لأن الانتظار يولد الاكتئاب، والحركة تصنع

الزخم وتدفع الإنسان نحو الرغبة في تجارب جديدة، وعبور المعاناة دون أن يجعلها تثقل أقدامه، فهناك الكثير مما يريد أن يحققه، وليجعل كل ما يعيقه سببًا في تصميمه على إكمال ما بدأ فيه، أو بدء ما كان يخشاه، لأن سباق الحياة هو سباق العدل، فحين تكون الحياة أقوى من الإنسان، يمده الله بالقوة اللازمة لمواجهتها، كل ما عليه أن يشحذ إرادته جيدًا ويستعد لخوض تحديًا تلو الآخر، فلم يصل نيك إلى ما هو فيه بسهوله لكنه كان يوقن من البدايه أن ذلك ممكنًا.

إن الحكمة وليدة التجربة

لو لم تكن قصة نيك حقيقية، وكانت من خيال أحد كتاب الرواية أو القصص الخيالية، لم يكن ليتمكن من وضع هذا التحديات ولم يك ليطرأ على باله أن شخصًا بمثل حالة نيك الجسدية بإمكانه أن يفعل ما فعله نيك، وأن يسمو فوق مأساته، ويجول حول العالم بأكمله، وفي حين كانت عائلته تقلق على أنه لن يستطيع الذهاب ذات يوم إلى المدرسة بمفرده، ولقد مرت به لحظات عديدة من اليأس وروادته العديد من الأفكار السلبية، مثل أنه لا يستطيع أن يجلب شيئًا لنفسه أو أن يتناول وجبته دون مساعدة، وأنه لن يستطيع ذات يومٍ من أن يعول عائلته، لأنه لن يحبه أحد، ولن تستطيع امرأة أن تشعر معه بالأمان، فهو لا يتمكن من حماية نفسه فكيف سيحمي غيره، إذا اقترب الخطر منه، وربما يشعر الكثير منا في بعض اللحظات بمثل هذه الأفكار، التي قد تختلف باختلاف ما نمر به من مصاعب، ولكن هناك مخاوف مشتركة، يتشاركها الجميع، فلا بد أننا جميعًا مررنا بفترة كنا نشك في قدرتنا على إيجاد الوظيفة المناسبة وتقديم أفضل ما لدينا

بها، ولذلك لن نستطيع امتلاك مسكن خاص بنا أو أن نحصل على النقود اللازمة للاتباط، لكن هذه السلبية هي التي تجعلنا نشعر بالعجز في كل يوم عن اليوم الذي قبله، لأنها تعمى العيون، وتحجب رؤيتنا للمستقبل، وعلينا أن ننفض عن انفسنا غبار تلك النظرة المتشائمة ولنجعل كل ما حولنا يوحي بالأمل، فحين ننظر إلى طفل يبتسم على كتف والدته، فهذا مشهد يبعث الأمل، أو شابًا يساعد شيخًا كبيرًا في النهوض، لنستغل كل هذه الأمور البسيطة، ونستمد منها القوت لأرواحنا، فكلما نظرنا إلى الإيجابيات صار تغيير ما نود تغيره أكثر سهولة ويسرًا، ولنؤمن أن المحنة والمعاناة خُلقت لتقوي عزيمتنا وتجعلنا أفضل، كما خلقت المأساة من نيك حكيمًا ينصح البشرية، ويستفيد الآخرون من تجربته، لكنها لم تكن لتصبح كذلك إذا استسلم نيك لما جال بخاطره من أفكار، بل اكتسب الحكمة من وراء ذلك، وأدرك الغاية التي من أجلها وُلد عاجزًا، فليبحث كل منا وراء السبب والغاية وراء ما يمر به من محن، وليفعل ذلك وهو على يقين من أن كل شيء سيسير كما يريد، إذا كانت إرادته قوية، سيحصل آجلاً أم عاجلاً على ما أراده.

تحكم أنت في أفكارك

وصل نيك إلى سن المراهقة وكان يذهب إلى مدرسة لا يوجد بها من هو في مثل حالته الجسدية، وكان ينظر كل يوم إلى رفقة الفتيان والفتيات، ويفكر في من تلك الفتاة التي تقبل بأن يكون حبيبها عاجزًا، لا يستطيع الرقص معها أو أن يمسك بيدها حين عبورهما للطريق، ولم يبدوا له في ذلك لوقت أنه سيحظى بأي علاقة طبيعية مع الجنس الآخر، وفي هذه المرحلة تكون أفكار الإنسان مشتتة، لايعرف ماذا يريد، ولا يفكر في مستقبله، ولكن كل ما يشغله هو أن يعيش هذه المرحلة بكل تفاصيلها، لذا فقد سمح لتلك الأفكار المُظلمة، والمشاعر الكئيبة السلبية تسيطر عليه، فلم يكن يستطيع النوم ليلاً، حيث تخرج تلك الأفكار من مخبئها زاحفة إلى عقله، ويفكر كثيرًا في الأمور التي تقُلقه، وكأن العالم كله قد اعتلى جسده ولم يكن يستطيع النوم، فقد كانت تلك الأفكار المُظلمة تُثقل عقله، ولا بأس أن يمر المرء بأوقات كهذه لكن البأس كل البأس في أن يستسلم لها، فكلنا قد مر بمثل هذه الأوقات، التي تصيب أرواحنا

بالهشاشة، ويحدث ذلك دائمًا حين نترك أفكارنا تتحكم بنا، فلا يوجد أحد على وجه الكرة الأرضية سعيد طوال الوقت، فلحظات الكآبة أمر طبيعي، فهي تخدم الغاية، خاصة وأن الدراسات العلمية الحديثة أثبتت أن الإنسان يصبح أكثر تركيزًا في عمله، فالكآبة تجعله يفكر بشكل تحليلي، لذا فإنه من الضرورري أن يحزن المرء في بعض الأحيان، لا ليفكر في وضعه بشكل أعمق أو أكثر تحليلية فقط، بل ليعرف طعم السعادة بحق حين يبتسم، ويشعر بالفرق بين ذلك وتلك، ولكن كل ما عليك هو أن تتحكم بتصرفاتك وردود أفعالك لمثل هذه المشاعر، فلا تدع الحزن يصيبك بخيبة الأمل، ويمكننا جميعًا أن نفعل ذلك، عن طريق معرفة السبب ومحاولة تغيير أو حذف ذلك السبب من حياتنا، إذا كان ذلك ممكنًا، وإذا لم نتمكن من ذلك، فعلينا أن نؤمن من قلوبنا بأننا نستطيع الخروج من تلك المحنة، ونظل نبحث عن حلول لما نمر به من مصاعب وسيساعدنا إيماننا بالخالق في القيام بذلك، وعلينا جميعًا أن نعرف أننا لن نستطيع أن نؤمن بأي شيء سواءً كان دينيًا أو دنيويًا إلا بعد نكتسب الثقة في أنفسنا، فذلك ما يجعلنا نستطيع قهر رغبة نفوسنا

في المضي تجاه الأسوأ، لا الأفضل، فأثمن وأقدر حكمة خرج به نيك من تجربته مع الحياة، هي أن فقدان الأمل أسوأ من فقدانه لأطرافه الأربعة، فلا تفقدوا الأمل، فإن كنتم تؤمنون بالله لن تفقدوا الأمل، وإن كنتم تؤمنون بأنفسكم، فلن تفقدوا الأمل، وإن كنتم تؤمنون بالخير أو بأي معنى جميل آخر، فأنا على يقين أنكم لن تفقدوه أبدًا طالما آمنتم بشيء جميل في قلوبكم، فالبصيرة أغلى من البصر، فالذي لا يؤمن بشيء هو من يظل يسأل لماذا يحدث معي كل هذا؟ لما لا أعيش حياة كالحياة التي يعيشه «سين» من الناس؟ لأنه لا يثق بقدراته ولا يعرف قيمة وجوده على الأرض، فماذا سيحدث لو فكر جيدًا دون أن ينساق أمام تلك المشاعر السلبية والأفكار المظلمة؟ الإجابة أنه لو لم يفعل ذلك وفكر جيدًا لوجد جميع الإجابات التي يبحث عنها داخله، لكنها يبحث في المكان الخاطيء، إنه يبحث حوله، ولن تجد شخصًا آخرًا على الأرض، لا أمك، ولا أبيك، ولازوجتك، ولا ولدك، ولا أي شخص آخر يعرف عنك ما تعرفه عن نفسك، قد يلفت أحدهم نظرك إلى أمر ما تجهله، لكن جهلك به يأتي من عدم تفكيرك بشأنه، ربما أدرك

غيرك أمرًا في نفسك قبل أن تعرفه أنت، ولكنه لن يستطيع أن يعرف أبدًا الأسباب التي أدت إلى ذلك، فلا يوجد شخص يحيا مع شخص آخر حياته لحظة بلحظة. كذلك كان نيك، ورغم أنه في صغره قد تعود على أن يكون هناك شخص ما دائمًا بجواره، إلا أنه كا ن يخبيء ما بداخله من حزن في نفسه، ويُخرج ما يوحي به للآخرين من طاقة إيجابية من داخله، فكثيرًا ما زادت حالة اكتئابه لدرجة جعلته يرفض الذهاب إلى المدرسة، ولكنه لم يُظهر لهم ذلك، وكان يذهب إلى المدرسة لا رغبة في الذهاب لكنه كان رافضًا لأن يشعر أحد تجاهه بالشفقة أو بالأسف، فلقد كانت الأمور الروحية والمشاعر الإنسانية هي أكثر ما يشغله في تلك الفترة، ومن أعجب أحلام يقظته في طفولته، أنه كان يظن أنه قد يستيقظ ذات يوم فيجد يديه وقدميه، وقد عاد كل منهما إلى مكانه واستطاع السير وتناول الطعام بمفرده، ويقول نيك أنه كان يفكر في بداية الأمر في أن يستيقظ وقد حصل على أطرافه الأربعة دفعةً واحدة، ثم في اليوم التالي يفكر أنه لن يمانع إذا رُزق كل عام بأحد أطرافه، وجعله ذلك الشعور يصبر على ما يعانيه، ويظل يبحث عن مخرج منه، لاشك

أنه كان حالمًا، وكان يعرف أن هذه الأمور لن تحدث أبدًا، لكنه لم يفقد الحلم، بل استطاع أن يُثبت للعالم أجمع أنه ليس بحاجة إلى أمر آخر سوى أن يكون حيًا ليثبت أنه شخص ناجح، ويترك أثرًا جيدًا في نفوس الآخرين، ويصبح ملهمًا للعديد من البشر في مختلف بلدان العالم، لكنه بعد فترة أصبح يدرك أن مثل هذه الأمنيات لا فائدة منها، بل تحول تفكيره إلى أنه خُلق ليحيا كذلك، وأنه لا يحتاج إلى هذه الأطراف، فقد مر بالعديد من التحديات وانتصر عليها بدونها، فكثيرًا ما ترددت على مسامعه جملة» إن الله وحده يعلم لم خُلقت هكذا» كان عليه أيضًا أن يبحث عن ذلك السبب، فلا بد أن هناك أمورًا لا يستطيع غيره أن يفكر فيها أو أن يفعلها، لكنه لم يزل في سن المراهقة، ولم يكن يفكر في ذلك، بل كان غارقًا في الأفكار السلبية لدرجة أنه كان جالسًا فوق أحد الخزانات الخشبية العالية بالمطبخ كما تعود دائمًا ليشاهد أمه وهي تطهو الطعام، فقد كان نحيلاً يمكن أن تجلسه والدته في أي مكان، وبينما هو جالسًا وأمه منهمكة في إعداد وجبة عشاء العائلة، انهالت عليه الأفكار المظلمة والمشاعر السلبية لدرجة أنه فكر في الانتحار، وحاول أن

يقفز في تلك اللحظة فقد كانت الخزانة الخشبية بجوار النافذة وظل يفكر كيف يتمكن من أن يسقط على رقبته لأنه لا يريد النجاة من هذه الحادثة، فلم يكن يحتمل المزيد من الإصابات، وبات تراوده هذه الفكرة منذ ذلك الحين، فقد تملك اليأس منه وأصبح هو الذي يسيطر في ردود أفعاله، إلا أن لاحظت عائلته ما يحدث وذهبت به إلى الأخصائي النفسي بالمدرسة، وظلوا يقنعوه بأنه ليس هو الوحيد الذي خلقه الله هكذا، كما أن والديه وجيرانه وأصدقائه بحاجة إليه، وأنهم لن يتخلوا عنه أبدًا، وأفاده هذا الحديث كثيرًا، إذ لم يعد بعدها يشعر بأنه عبئًا على عائلته أو يشعر بأنه وحيدًا، فلقد لفت حديث أخصائي المدرسة انتباه نيك إلى أن عائلته، تشاركه كل ما يشعربه، وأنه حين يؤذي نفسه فلن تشعر والدته بالسعادة، وأدرك أنه لم يكن يفكر سوى في نفسه، فلم يتطرق تفكيره إلى الحزن الذي سيتركه في نفوس محبينه من أصدقائه وجيرانه وعائلته. خرج نيك من تلك الحالة، وعاد من المدرسه وطلب من أمه أن تدخله إلى الحمام وتغلق الباب خلفها وتخرج، ووضع رأسه تحت الماء وراح يغسل كل تلك الأفكار المظلمة عن رأسه، وصار يشعر بأنها تسقط فكرة

تلو الأخرى مع سقوط قطرات المياه، ولم يعد قلقًا بشأنها، وحين خرج من الحمام لم يعد في حاجة إلى أن يشعر بالأمان والحب، وقد كان والده مُلهمًا في تلك اللحظة، فوضع يده على رأس ولده وراح يؤكد له أن كل شيء سيكون على ما يرام، وستجد طريقًا لا يستطيع أن يسير فيه غيرك، وستحقق مالم يتمكن الأصحاء من تحقيقه وقد كان ذلك كافيًا بالنسبة لنيك في تلك اللحظة، وقد عاوده الشعور باليأس مجددًا مرات عديدة إلا أنه كان قد أنجز الكثير مما يستطيع أن يفخر به، وأصبحت حياته ذو معنى وقيمة حقيقية، كما أصبح نيك نفسه يؤمن بأن الأمل يصنع المعجزات، ومن ينظر جيدًا إلى رغبة نيك في الانتحار ذلك اليوم يرى أنها هي النقطة التي قلبت حياته رأسًا على عقب.

التمسك بالأمل

كل ما فعله نيك هو أنه تمسك جيدًا بالأمل، إلى أن أصبح نجمًا من نجوم موقع اليوتيوب، وصار يشاهد فيديوهاته الملايين من جميع دول العالم، وألهم الكثير من اليائسين، وقد تبنت المؤسسات الخيرية زيارته إلى البلاد المنكوبة ليلتقي بأهل هذه البلدان ويقول لهم ما يخفف عنهم ويعطهم الأمل في الغد، وينصحهم بعدم الاستسلام لتلك المحن والمصائب، وليجعل قيمة الحياة في أعيننا تطفو فوق كل ذلك، كان ينصحهم بما فكر في فعله، فقد كان على وشك أن ينتحر إثر استسلامه للأفكار السوداء، إلى أن ملأها الأمل بالضوء، وقد كانت هذه الأفكار سببًا في أن جعلته يحاول تغيير واقعه، بل وسببًا في نجاحه أيضًا، فكان كلما نظر إلى مياه البحر تذكر ذلك اليوم الذي فكر بأن يُلقي نفسه في عمق البحر عام ١٩٩٣، حين شعر وهو ينظر إلى هؤلاء

الذين يلهون ويلعبون في البحر، بأنه لا يستطيع سوى أن يحلم بذلك، لأنه لن يتمكن ذات يوم من أن يفعل مثلهم، فقد كان محبطًا جدًا، واليأس يجعل كل ما حولك يُشعرك بالحزن حتى ولو كان مشهدًا باعثًا للسرور، لأنه لا يدعك تنظر إلى الجانب الإيجابي إلى الأمور، فقد كان يرى البشر صنفين، أحدهما يحيا و كأنه هو القطب الموجب للمغناطيس والآخر يشعر بأنه هو القطب السالب، وكان نيك في تلك اللحظة يشعر بالسلبية، لكنه استطاع أن يرى ميزات ذلك القطب، لأن القطب السالب لا يتجاذب سوى مع القطب الموجب، فأصبح يسعى وراء الإيجابية، إلى أن صار مصدرًا لها، وأثر في كثير من اليائسين والمحبطين واستطاع أن يُخرجهم من محنهم وظروفهم الصعبة، ويرسم الأمل في قلوبهم والبسمة على وجوههم، وعلمهم أن يتذكروا أنهم حين تمتلكهم الأفكار السوداء أو يصابوا بالإحباط لا يرون الخيارات المتاحة أمامهم لكنها موجودة، وأن يطلبوا المساعدة ولا يشعروا بالحرج من ذلك فكلنا يمر بمثل هذه



اللحظات، فلا داعي للخجل، فلولا ما قاله الأخصائيين النفسيين لنيك لما غير رأيه بشأن الانتحار، لأننا جميعًا تأتي علينا الأوقات نحتاج فيها إلى أن نتحدث مع شخص آخر، ونقص له ما نعاني منه، ربما يُشكل ذلك الحديث الذي سنخوضه مع المختصين، من الأخصائيين الاجتماعيين أو النفسيين على مستقبلنا بشكل كبير، وتملأ أرو احنا بالأمل في أن نكون نكون أفضل.

الثقة الكاملة محلها القلب

لا بد أن يكون هناك أمور في حياتنا نثق بها من قلوبنا ثقة كامل، ولا يتعلق ذلك بالمعتقد الديني فقط، بل نتحدث هنا عن الإيمان والثقة بالأمور الغيبية، أو ما لا نستطيع إدراكه أو رؤيته، فلم يكن نيك ليُكمل حياته دون أن يثق من قلبه في ما قاله الأخصائي النفسي بالمدرسة، حين أخبره أن كل من حوله في حاجة إليه ويحبونه، لقد وضع نيك مستقبله بالكامل في عنق كلمات الأخصائي، إذ وثق بها ثقة لا يزعزها شيء. علينا نحن أيضًا أن لا ننتظر أحدًا يقوم بما نود نحن القيام به، لأننا إذا فعلنا ذلك فلن نشعر بقيمة لأنفسنا ولحياتنا ولا للوجود بأكمله، وليكن الأمل في حياتنا بمثابة الهواء الذي نتنفسه، ولا نستطيع الحياة من غيره حتى ولو كانت كل الدلائل والمؤشرات تُنبيء بالفشل والإحباط، فجميعنا يواجه التحديات والمصاعب، ليس نيك وحده فلدينا العديد من النماذج، مثل طه حسين، الناقد والمؤلف والملقب بعميد الأدب العربي رغم اختلاف العرب والغرب حول ذلك، فهناك من يجده من رواد التنوير في العالم

العربي ومن يراه رائد للتغريب، رغم كونه فاقدًا لنعمة البصر، لكن ذلك لم يمنعه من كتابة العديد من المؤلفات والتأثير في ثقافة المجتمع كما أراد، ولتكن تلك النماذج، مثل نيك، وطه حسين، وميللر، هي التجارب التي ننظر إليها، وننظر إلى ما نمر به من مواقف فلن يكون كفقدنا لما فقده هؤلاء من نعم، يتمتع الكثير منا بها دون أن يأمل في تحقيق أي شيء، فهناك الكثير ممن استفاد مما شاهده من مقاطع الفيديو التي نشرها نيك على موقع اليوتيوب، فقد وردتها رسالة من «كاتي» أحد المشاهدات تقول فيها، أنها امرأة في الثلاثين من عمرها، وأنها تعيش دون إحدى عظمتي الفخذ، بعد أن تم بترها وهي طفلة صغيرة، وقالت «كاتي» أنها قد تم طردها من العمل بسبب أنها تتغيب كثيرًا عن العمل لأنها تخضع لفحوصات طبية لإجراء عملية جراحية، وأخبرت نيك أنها عاشت طويلاً، تسأل «لما أنا؟» ولم تدرك جواب أسئلتها إلا بعد أن شاهدت تلك الفيديوهات، فقد أدركت أنها ربما تعرضت لأمر أكثر سوء من ذلك، وقد ساعدها نيك أن تنظر إلى ما وراء المحنة وأن لا يظل عقلها وعينيها عالقين بها، وكغيرها من المشاهدات والمشاهدين، أعربت له عن أمنيته في لقاءه ومعانقته،

لأنها بحاجة إلى دفء ما بجسده من طاقة إيجابية، جدير بنيك أن يشعر بالسعادة لمثل هذه الرسائل، وقد كان كذلك فعلاً، فلقد غمرته تلك الرسالة بالسعادة، بعدما ظن أنه لن يشعر بالسعادة في يوم من حايته. رد نيك على رسالة»كاتي» برسالة يذكِّرها فيها بأن الأمور التي نستطيع أن نراها أو نشعر بوجودها قليلة جدًا مقارنة بما لا نستطيع رؤيته أو الشعور به، وأخبرها أن الأمل والثقة بالنفس هي أحد تلك الأمور التي يجب علينا أن نؤمن بوجودها دون أن نراها، موضحًا لها أن معتنقي جميع الأديان يؤمنون بأمور لا يستطيعون التحقق منها، ولكنهم يفعلون ما تأمرهم به دياناتهم المختلفة من أوامر لأنهم يثقون بها، فعلينا أن نفعل ذلك أيضًا مع أنفسنا لا مع معتقداتنا الدينية وحسب، فبالأمل والثقة فقط يستطيع المرء أن يقهر التحديات التي تبدو وكأنها لا تقهر في باديء الأمر، وقال لها أيضًا أن هناك أمرٌ ما تريد تلك الظروف الصعبة أن تخبرها به، وأمرها أن تتبع قلبها بعد أن تغسل روحها من الأفكار السوداء والمشاعر السلبية، لم يكن نيك يملك ما يبرهن به لكاتي على ما ينصحها به، لكننا لابد وأن نؤمن بما لا نراه كي يأتي علينا اليوم الذي نراه فيه.

نيك وأضحوكة قدمه الصغيرة

بينما كان يحرك الجزء الصغير من قدمه اليسرى، وإذ بأخته ميشيل التي تصغره بخمس سنوات تخبره بأن تلك القدم، أشبه بالعصا التي يقرعون بها الطبول، في البداية حزن نيك حزنًا شديدًا رغم علمه بأن أخته لم تزل طفلة صغيرة وأنها لم تقصد أن تزعجه، ولم يدر بخلدها أن ذلك سيؤلمه، لكنه استطاع أن يقول ذلك عنها بعد فترة على الملأ في أحد المرات التي تحدث فيها إلى أصدقائه بالمدرسة، وبمجرد أن قال ذلك أمام الناس شعر بأن ذلك التشبيه لن يؤذيه أو يجرحه مرة أخرى، وهذا مثال صغير على أن المرء يستطيع أن يشعر بالسعادة تجاه أكثر الأمور التي كانت تحزنه فيما مضى، فالحياة ليست مقتصرة على ما نراه، بل يوجد بها ما نستطيع أن نتخيله، لأن أول من صنع الطيارة، تخيل أنه يطير في البداية، ولا بد أن جميع من حوله قد سخروا من تلك الفكرة في البداية، لكنه أثبت للجميع أنهم كانوا مخطئين، وكان هو وحده صائبًا في تفكيره، كما آمن نيك تمامًا بأنه يستطيع أن يبني مستقبلًا مليئًا بالحياة

المثمرة، لأنه أدرك أن الحياة لا حدود لها، وأن كل شئ ممكنًا، لذا سعى نحو تحقيق ما يحلم به، وقد كان ذلك أثناء زيارة نيك لبعض مدن كولومبيا بقارة أمريكا الجنوبية، التي كان عليه أن يُلقي تسع خطابات في عشرة أيام كل واحدة منها في بلد، بالطبع لم يبدو ذلك ممكنًا، لكنه أجر طائرة خاصة، وأبلغ الطيار أنه يستطيع أن يُحضر ما يشاء من الركاب لينقلهم معه إذا أراد أحدُ ذلك، وبالفعل ذهب إلى حيث تنتظره الطائرة ووجد أن هناك سبعة ركاب آخرين، ليصبح مجموعهم ثمانية، إضافة إلى قائدي الطيارة اللذين كانا يحملان نفس الإسم « ماجويل» ولم يكن أي منهما يتحدث الإنجليزية، فهم يتحدثان الإسبانية، وهي اللغة الوحيدة التي يستطيعان تحدثها، وبينما كان نيك جالسًا يعد لما سيقوله، ويتذكر النقاط الرئيسية التي جاء إلى هذه البلاد من أجل التحدث بشأنها، وإذ بصوت آلي بالطائرة ينصح الركاب بربط الأحزمة، فزع نيك لأنه ظن أن هناك أمرً خاطيء بالرحلة، وظل يفكر في ذلك، وكان الصوت الآلي ينطق بين الحين والآخر، فازداد هلع نيك، وخاطب أحد الكاب الجالسين بجواره قائلاً» ألا يجب علينا ترجمة ذلك إلى قائدي

الطيارة» فأخبره بأن ذلك أمرًا طبيعيًا عند الهبوط، فذلك الصوت يعمل تلقائيًا لتحذير الركاب قبل وصول الطائرة إلى الأرض حتى لا يتضرروا من اصطدامها بالأرض، ثم هبطت الطائرة بالفعل، وراح نيك يُفكر في أنه الآن يشعر بقيمة حقيقية لحياته، لأنه أصبح يرهب فكرة الموت، لو أتاه ذلك الشعور فيما مضى لم يكن ليبالي حتى لو اصطدمت الطائر بأي شيء، فقد كان يريد الموت لأنه لا يرى بها أي شيء يوحي بالسعادة، أو يجعله يتمسك بها، وتعلم الحكمة من وراء النظر إلأى ما نمتلكه ومحاولة استغلاله لا أن يظل منتظرًا لما ينقصه كي يبدأ في التفاعل مع ما يمر به من حياته، ويحاول إعادة تشكيلها وصياغتها على النحو الذي يريد، فكل شيء ممكنٌ فعلاً، إذا أمنا بذلك من قلوبنا.

نيك يركب الأمواج

كان نيك في هاواي لإلقاء خطاب هناك وكان ذلك في عام ٢٠٠٨، والتقى هناك ببيتاني هاميلتون، راكبة الأمواج الشهيرة، التي حصلت على العديد من الجوائز والميداليات. جاء لقاء نيك بهاملتون بعد أن تعرض لحادث فقدت فيها ذراعها الأيسر، ففي إحدى المرات التي كانت بيتاني بالبحر التهم قرش كبير ذراعها، ونزفت بيتاني في ذلك اليوم أكثر من ثُلثي دمها في أعقاب ذلك الحادث، وهي شابة في العقد الثالث من عمرها، وبرغم أنها رأت الموت بأم عينها في ذلك اليوم، إلا أن ذلك الحادث جعلها أكثر إرادة وتصميمًا من ذي قبل، ولم تتخلى عن رياضتها المفضلة رغم أن تحقيق التوازن فوق موج البحر أمر صعبٌ جدًا دون ذراعها الأيسر، فالأذرع كما نعرف جميعًا تُمكن المرء من تحقيق التوازن إذا شعر بأنه على وشك السقوط، ولكنها استطاعت ذلك لأنها لم تفكر في مدى استحالة ذلك الأمر، بل فكرت في مدى إمكانيته، ووجدت أنه ممكنًا ففعلته، هكذا تبدو كل الأمور

إذًا في بدايتها، فإذا نظرنا إلى أحد الأمور على أنه صعب جدًا ويستحيل حدوثه، أو أن ذلك الحلم مستحيلاً لن نتمكن أبداً من تحقيقه، لأننا ندرك في أعماقنا أننا لن نستطيع، ولكن إذا نظرنا إلى إمكانيته وآمنا من داخلنا بأن الحياة بلا حدود، وكذلك قدراتنا لما تراءى لنا شيئًا على أنه مستحيل، فلقد كانت هاميلتون أقرب إلى الموت منها إلى الحياة، ولم تدري ماذا حدث، وكيف استطاعوا إنقاذها، لأنها أدركت قبل أن تفقد الوعي أنها ميتة لا محالة، وحين أفاقت من أثر الأدوية، شعرت بالسعادة لأنها لم تزل على قيد الحياة، ولم تحزن لذراعها الذي فقدته، بل فكرت في طريقة للعودة إلى ما تحبه، ألا وهو ركوب الأمواج. كان الأطباء قد أخبروا والدها بأنها لن تستطيع أن تمارس هذه الرياضة مجددًا إلا بعد ستة أشهر على الأقل، لكنها فاجأت الجميع بالعودة إلى ركوب الأمواج قبل مرور ثلاثة أسابيع على الحادث، ربما شعر غيرها بعد تلك الحادثة بالخوف من البحر، وربما أصيب غيرها بعقدة نفسية تجاه البحر والمياه بشكل عام، إلا أن هاميلتون خرجت من تلك التجربة أقوى وأشد عودًا، لأنها لم تفقد الأمل،

ولم تصب بخيبة الأمل، لأنها كان يُمكن أن تفارق الحياة. علينا أن نتذكر هذه الفتاة حين يلم بنا حادث ما، أو حين تخرج الحياة أحد أنيابها وتقطع جزءًا من حياتك، أو تستولي به على أحد أحلامك، تذكر دائمًا أنك تستطيع أن تنتصر عليها، إن رمزية قصة هاميلتون لا تكمن فقط في تصميمها وإرادتها بعد أن فقدت ذراعها، بل هناك رمز آخر هام بهذه القصة الحقيقية، وهي الرياضة التي تمارسها نفسها، إنها في حد ذاتها بمثابة تحدي عظيم للأصحاء، فكثير من الناس يحاول أن يفعل وهو في كامل قوته الجسدية لكنه ييأس، ولا يكمل ويشعر أنه لن يستطيع ذات يوم أن يمارس ذلك بشكل جيد، أو أن يحترف تلك الرياضة الخطيرة، ففي المجتمعات الشرقية يضربون المثل بالأمور المستحيلة «أن فلانًا يريد أن يسبح ضد التيار» أو «أن فلانًا يريد أن يركب الأمواج». ألهمت هاميلتون نيك بأنه يستطيع أن يفعل ذلك، حين رأه تبلي بلاءًا جيدًا دون ذراعها الأيسر، وسألها، هل يستطيع شخصًا في مثل ظروفه الجسدية أن يمارس تلك الرياضة، وهل يمكنها أن تساعده على فعل ذلك؟ ووافقت على أن تعلمه،

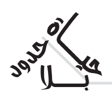


واصطحبته في اليوم الأول الذي رأته فيه إلى شاطيء البحر، وكما ألهم نيك الكثيرين حول العالم، إذ بهاميلتون تُلهمه بأنه يستطيع أن يفعل ما يريده، حتى ولو بدا ذلك مستحيلاً، لم يخجل نيك من أن يطلب منها ذلك، لأننا جميعًا كما ذكرنا نحتاج لمن يقدم لنا المساعدة، ويحتاج آخـرون إلى مساعدتنا. بالفعل ساعدته هاميلتون، إذ أحضرت له لوحًا لركوب الأمواج وقدمته إلى نجمين من نجوم تلك الرياضة وهما، توني مونيز ولانس هو كانو، وأدرك بعد أن تعرف عليهما أنهما سينضمان إليه هو هاميلتون في النزول إلى البحر، ولكنهما قررا أن يعلموه بعض الأمور على الشاطيء قبل أن ينزل إلى الماء، كطريقة الاتزان فوق لوح ركوب الأمواج، وبدأ كل واحد منه يعلمه شيء ما، وبدأ يشعر بأنه لاينقصه شيء من أطرافه، فكلما احتاج لشيء، وجد أحدهم يقوله ويعلمه أن يعتمد على نفسه في ذلك، وكانوا يبتكرون الطرق التي تناسب نيك، وكان نيك لا يخشى من المياه فهو الآن يسبح بشكل جيد جدًا. كان نيك مذهولاً مما يحدث، وتذكر الطريقة التي كان يقلق بها والده ووالدته عليه من الذهاب

إلى الشاطيء، وأصبح أكثر تصميمًا على تنفيذ ما يخبره به مدربوه، الذي جمعته بهم مأساة هاميلتون، وقد عاد من تلك الرحلة وقد تعلم المباديء الأساسية للركوب الأمواج، بل ومارسها هناك أكثر من مرة قبل عودته إلى المنزل، وقد ارتفعت معنويات نيك لما تعلمه، وصار أكثر تفاؤلاً، ولكنه ما لبث إلا أن شعر بأنه لا يستطيع أن يفعل ذلك بمفرده، وأنه بحاجة دائمة إلى وجود شخص محترف بجواره. لم يترك نيك هذه المشاعر السلبية تُسيطر عليه، وأدرك أن عليه أن يفعل ذلك بمفرده ليتخلص من تلك المشاعر التي لا تيأس من الضغط عليه، لتجعله يشعر بأن قدراته محدودة. خرج نيك إلى الشاطيء مدركًا أنه لابد له من مواجهة أقسى مخاوفه، بدأ بمحاولة ركوب الأمواج الصغيرة في البداية، لكن هل نجح نيك في أولى محاولاته لركوب الأمواج؟ لم ينجح بالطبع رُغم أنه فعل ذلك من قبل أمام هاميلتون وصديقيها ولكنه ظل يحاول إلى أن نجح في فعل ذلك. لم يكن نيك يفكر في ماذا سيفعل بهذه الرياضة، لكنه كان نهمًا لمعرفة المزيد، وتواقًا لأن يشعر بحياة طبيعية، كانت به رغبة قوية في القيام بالأمور

التي يظنها الناس مستحيلة لمن هو في مثل حالة نيك الجسدية، لأنه يريد أن يُثبت لهم أنه لا وجود لما يصفونه بالمستحيل، فهذه الصفة هي من اختراع البشر، ولكم تمنى أن يستطيع التزلج على الجليد، لم يتخيل أن ينتقل حلمه إلى مرحلة جديدة أكثر صعوبة مما كان يحلم به وهو صغير، هكذا إذًا تنمو الأحلام، فلقد استفاد من حلمه الصغير بالتزلج فوق الجليد، لأنه لم يرى أن ذلك مستحيلاً، بل استطاع أن يحقق ذلك وتأهل بذلك إلى أن يعرف الطريقة التي يستطيع بها أن يحافظ على اتزانه فوق لوح التزلج، وها هو يستخدم تلك الخبرة الآن، استطاع نيك أن يروض إحدى الأموج ويطفو بلوح الركمجة فوقها، وحين عاد إلى المنزل سأله أخوه الصغيرعن الفائدة من وراء كل ذلك، فأخبره نيك أنه يفعل ما يريد أن يفعله، ولا يسمح لأي شيء أن يمنعه، وبينما يتحدث هو وأخيه الصغير إذ بهاتفه يرن، وكانت هاميلتون هي المتصلة، فقد أرادت إخباره بأن هناك مسابقة للركمجة تقام بشاطيء «وينكيكي»، أحد المدن الموجودة بالعاصمة هاواي في الأسبوع المقبل، بالطبع فرح نيك فرحًا شديدًا باتصال هاميلتون.

ولكنه لا يظن أنه يستطيع أن يشارك في تلك المسابقة إلا أن هاميلتون لم تتركه إلا بعد أن وعدها بأنه سيذهب حتى ولو لم يشترك في المسابقة. استقل نيك الطائرة إلى حيث تُقام المسابقة، ولم يكن في نيته الاشتراك في المسابقة لكنه حين وصل إلى الشاطيء أدرك أن هاميلتون قد سجلت اسمه في المسابقة، ثم جاء دوره هو وهاميلتون في الركمجة حيث أنها قامت بتسجيل اسمهما معًا، نزلا إلى المياه كل على لوحه الخشبي، وكانت هاميلتون تستطيع أن تأخذ الموجة التي تقابلها وتحقق منها النقاط التي تسعى ورائها فهي محترفة، وقد سبق لها أن فعلت ذلك، في حين لم يزل نيك حديث عهد بتلك الرياضة، لكن هاميلتون لم تتركه وظلت إلى جواره لتشجعه، وكلما حاول أن يدفع جسده بكتفيه لينهض واقفًا، سقط نيك، وساعدته هاميلتون في العودة إلى لوحه الخشبي، وتشير إليه بأنه لا بأس أن تسقط، فهذا لا يعني أنك لن تستطيع أن تفعل ذلك، فلولا سقوط الإنسان وهو صغير لما تعلم أن يسير دون أن يسقط أو أن يتزن في مشيته، سقط نيك من فوق لوحه كثيرًا إلا أنه نجح في آخر الأمر. كانت تلك



المسابقة مُعلنة، وبها الكثير من الرعاة، مما جعل عدد كاميرات القنوات التلفزيونية تتزايد في كل لحظة، وتم تصوير نيك وأُذيعت تلك المسابقة على شاشات التلفزيونات واستطاعت عائلته أن تراه وهو يركب الأمواج، إذ لم يخبرهم نيك بالسبب الذي سافر من أجله، وشاهده الجميع يفعل أكثر الأمور التي شعروا حيالها بالرعب حين كان صغيرً، من كان يتوقع ذلك؟ بالطبع لو أن نيك أخبر عائلته أنه سيفعل ما فعله لما صدقوه، أو لحاولوا منعه خشية من أن يصاب بمكروه، كما فعل رعاة المسابقة حين سألوه «كيف ستفعل ذلك؟» هل تستطيع السباحة؟ وكان يجيبهم أن بإمكانه أن يفعل ما يفعله هؤلاء المشتركون في المسابقة، وكانت اللجنة على وشك أن ترفض اشتراكه، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك لما وجدوه بنيك من إرادة وتصميم، ونجح نيك في أن يخيب ظن هؤلاء الذين توقعوا له الفشل، ولم يمنعه ما قالوه من كلمات قاسية في أن يفعل ما يريد، بل زادته تصميمًا وعزيمة، وركب أكثر من عشرين موجة قوية في غضون ساعتين، بل لم يكن يريد أن يخرج من البحر في ذلك اليوم، فتلك

اللحظات هي أكثر اللحظات التي شعر فيها بأنه تحرر تمامًا من الأفكار المُظلمة، والمشاعر السلبية، هل كان يتوقع نيك أنه سيلتقي يومًا ما بأحد أشهر نجوم الركمجة؟ ناهيك عن أن يشارك في أحد مسابقات تلك الرياضة، لكنه بدأ بتحقيق ما يستطيع أن يُفكر به فبدأت الأحلام التي لا يحلم بها تتحقق من تلقاء نفسها، فقد كانت الحياة تسير في الطريق الذي يحقق رغبات وأحلام نيك، فلم تكن حادثة هاميلتون مصادفة، كما لم يكن لقاءه بها مصادفة أيضًا، كل شيء كان يسير ضمن خطة وضعها الخالق، كل ما فعله نيك أنه حاول أن يكتشف الطريق الذي يجب عليه السير فيه، وآمن أن تلك الظروف ستتغير إذا لم يسمح لها بأن تسيطر عليها، بل كان يقبل بها كتحدي، العجيب أن نيك يحتفظ بحذاء منذ كان صغير، فهو لم يزل أملاً، في أن يأتي اليوم الذي قد يرتديهم فيه ولو على أطرافٍ صناعية، لأنه متمسك بفكرة أن كل شيء ممكنًا، حتى ولو كان هناك تحدٍ يحاول أن يعصف بحياتك ويحولها إلى هشيم، إلا أن حلول كافة الأزمات والمصاعب والتحديات والمحن تكمن في داخلنا، حين ندرك

جيدًا أن لا شيء مستحيل. إن التربة الصالحة هي التي تستطيع أن تُخرج نبتة صالحة ومثمرة، فالبذور توجد في كل مكان وتتساقط على الأرض من كل صوب، إلا أن التربة الجيدة فقط هي التي تستطيع أن تُخرج الثمار التي يأتي لها يوم الحصاد، فكل منا يملك البذرة، لكن لا يستطيع أن يحصد ثمارها سوى الأقوياء، ولا نقصد بالأقوياء هنا البنية الجسدية، بل البنية النفسية، وقدرة المرء على الاستمرار في التغيير من حياته إلى الأفضل ليجني ثمرة ما يفعله، إنها الثمرة التي نزرعها في قلوبنا، ويروها كل من يُلهمنا ويشجعنا على أن نسير أفضل مما نحن عليه، ويخبرنا بأننا نستحق ذلك، لكننا إذا تركنا تلك الثمرة في انتظار أن يرعها لنا الآخرون، سيكون نموها بطيئًا، بل قد يأتي شخص سلبي وينزع تلك الثمرة من قلوبنا، لأننا تركناها ولم ننتبه إليها، ولم نشعر بقيمتها، إن كل فكرة تموت بداخلنا هي بمثابة روحٍ يفقدها المجتمع فلاداعي أن نفعل ذلك بأفكارنا لمجرد التفكير في عدم القدرة على تحقيق ما نفكر فيه، أو التفكير في صعوبة تحقيقها، وعلينا أن نفرق دائمًا بين الخطط التي تصلح لأن تكون طويلة

الآجل وتتحقق شيئًا فشيئًا، وبين الخطط اللحظية التي تحتاج إلى التطبيق والتنفيذ في الوقت الحالي، حتى لا نُشتت أنفسنا في أكثر من طريق ولا نصل في طريق واحد إلى نهايته، لأننا نسير في كل طريق خطوة واحدة ثم نشك بقدرتنا على الوصول، فنغير الطريق، لأن الطريق الجديد يبدو أكثر سهولة وأقصر مسافة مما قبله، ثم لا نلبث إلا أن نتركه أيضًا لنفس السبب الذي تركنا الآخر من أجله، وفي النهاية نجد أنه لا يوجد في حياتنا تراكم في مجال واحد، بل نجدنا نعرف بعض الأمور السطحية عن عدة مواضيع، ولكننا لم نتعمق في أي منها، لنبدأ الآن بوضع أولويات لحياتنا، ونحدد الطريق الذي نريد أن نسير فيه، ولا نسوف الأمور، وكلما يأتي يومًا نقول أننا سنفعل ذلك غدًا، علينا أن نفعل ما نود أن نفعله بعد شهر في أسبوع واحد، إذا استطعنا ذلك، وإن لم نستطع فلا نجعله يأخذ أكثر من المدة التي حددناها له، لأن ذلك يصيبنا بالتراخي والكسل، وقد نتراجع عما بدأنا به لأننا لم نستطيع إنجازه في الوقت المحدد له، فلا شك أن هناك الكثير من البذور التي نستطيع أن نرعاها لتصبح شجرة مثمرة

يستظل بها أصحاب القلوب اليائسة ويتناول من ثمارها المحبطين، وإن كنا بدأنا فعلاً بالتفكير في ذلك فلا بد أن لا نسمح لأي أحد أن يؤثر على نمو تلك البذور، فلقد عانى نيك من محاولات البائسين، الذين حاولوا أن يثبطوا عزيمته بالسخرية من حالته الجسدية، فقد كان المتنمرون من الأطفال يقولون له، «لم لا تجلس خلف الباب حتى لا يفتح من تلقاء نفسه، على الأقل سنكون قد استفدنا من وجودك في شيء» كانت تلك الكلمات جديرة بأن تخلق من نيك شخصًا يائسًا، هذا لو ترك ما يقولونه يتحكم به، فلم يكن هؤلاء اليائسيين من حيواتهم، يتوقعون أن يصبح نيك ذو شأنٍ، أو قيمة أكثر من مجرد حجر يستطيعون استخدامه في تثبيت الباب في مكانه، وإحقاقًا للحق، لقد كانت مثل هذه الكلمات في البداية تنمو بداخله أكثر من كلمات والده ووالدته وجيرانه، فقد كان يصدق ما يقوله هؤلاء اليائسين، وكانت كلمات أحبائه تسقط على أرضٍ صلبه لا مكان بها للثمار أو للظل، ولكن لم ييأس والديه وأحبائه من أنهم سيجنون ثمار ما يقولونه لنيك ذات يوم، فاليأس يُميت الأماني

والأحلام ويثقل كاهل المرء، ويجعله يظن بأنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا ذو قيمة في حياته، وظل والديه على ذلك لشهور وسنوات إلى أن صارت البذور القديمة التي ألقوها على الأرض الصلبة تربة خصبة للبذور الجديدة، وها هي تأتي بثمارها، وتجعل نيك يشارك في الأنشطة المدرسية التي طالما نظر إلى قرنائه وهم يمارسونها وشعرعلى نفسه بالأسف، ولكنه بعد فترة بدأ يتأثر بكلام أحبائه أكثر من استسلامه للظروف، إذ أدرك أن حزنه لن يفيده بشيء، بل سجعله دائمًا هكذا، مُستسلمًا وضعيفًا. كان والد نيك لا يُفكر في أمر آخر سوى مستقبل ابنهما، ولكن والده بعدما رأى حالة الحزن التي تنتابه، بدأ يشتري له كتب الكاتب الأمريكي « نورمان فينسنت بيل» إلى أن بدأ نيك يتأثر بكلمات فينسنت، فقد كان يكتب بعض الاقتباسات ويقرأها كلما شعر بالحزن، ولم يزل يحفظ بعض عبارات فينسنت عن ظهر قلب حتى الآن كعبارة «مشكلة معظمنا أننا نُفضل أن يقضي علينا المديح بدلًا من أن ينقذنا النقد» لقد كانت لتلك الحكمة أثرًا بالغ الأهمية في حياة نيك، فقد جعلت نقد رفقائه بالمدرسة يحفزه على

تغيير ما يسخرون، وجعلته يسعى إلى إبهار من حوله، كأن يفعل ما كان يفعله بقدمه الصغيرة، ودفعته إلى تعلم السباحة، لقد خط عبارات فينسينت في قلبه وكان كلما واجه أمرًا يظن أنه لن يستطيع تجاوزه تذكر قول فينينت»لا تيأس فعادة ما يكون المفتاح الأخير في مجموعة المفاتيح هو المناسب لفتح الباب» فيحاول نيك مرة أخرى، وكلما ظن أنه لن يستطيع أن يغير شيئًا في حياته، وأن ما ينتظره من مستقبل هو أكثر حزنًا مما مضى، تذكر قول فينسنت» غير أفكارك تغير حياتك» وأقوال أخرى كثيرة تبعث على الإيجابية لا لفينسنت فقط بل لغيره من الكتاب، مثل «روبرت نيثن» الذي يقول في إحدى حكمه «أشكر الحزن لأنه جعلنا نرى الجمال البكر، وأشكر الحزن لأنه أعطانا الدافع، وأشكر الغموض لأنه لا يزال غموضًا ويدفعنا دائـمًا إلى الاكتشاف»، و» إذا كنت سقطت اليوم فيجب أن يعطيك ذلك الدافع إلى النهوض وعدم السقوط مجددًا»

جزاء الصبر

شهد عام ٢٠٠٨ في حياة نيك الكثير من الأحداث، وأهمها تخطيطها لزيارة ٤٠ دولة، وكان قد أصبح له فريق يُطلق عليه اسم «حياة بلا أطراف»، وبرغم أنه لم تكن هناك جهة تموله، لكنه كان على يقين أن ذلك سهلاً، فوضع ميزانية للرحلة ليتدبروا أمر التمويل، وبالفعل حصل على تبرعات تكفي لثلث تكاليف الرحلة، وانطلق نيك وفريقه إلى كولومبيا، وأوكرانيا، ورومانيا، ثم علم قبل أن ينطلق إلى مومباي وهي محطته التالية من عمه أن الأوضاع غير مستقرة هناك، وأنه من الأفضل زيارتها في وقت لاحق، وكان نيك يثق في عمه، فأجل تلك الرحلة وعاد إلى منزله، وفي طريقه إلى المنزل احتشد عدد كبير من الناس للاحتفال بعودته، إلا أنه كان هناك ما ينغص عليه فرحة تلك الاحتفالية، حيث كان يشعر بوجوب الذهاب إلى الهند واندونيسيا، وحزن لعدم إكمال رحلته وفق الجدول الذي أعده الفريق لها، وأنه لم يقبل المغامرة، ولكن عمه أخذ يهدأ من روعه ويقول له أنهم سيكملوا الرحلة، لكن

دون أن يصدموا رؤوسهم بالحائط لينفذوا منه كالثيران، لأن ذلك الباب الموصود سيُفتح بعد حين، عندما نكون مؤهلين لأن نواجه أو نعيش ما سنجده خلف ذلك الباب، فلا داعي لفقدان الأمل أو الانصراف عما نريد، ولا يجب عليك سوى أن تتذكر أنك ستجد الطريق طالما استمريت في البحث عنه، لأنك تستطيع أن تُكيف أهدافك مع الواقع الذي تعيشه، وعليك أن تثابر وتظل تحاول طالما بقيت على قيد الحياة، تمامًا كما حدث مع نيك، فبعد أيام قليله من لقائه بعمه، جاءه شخص يدعى «بريان هارث» وقد سمعه وهو يتكلم عن رحلته في فلوريدا، عرض بريان على نيك تمويل الرحلة بالكامل، وبالفعل قام بتأجير القاعات الكبيرة في كل من الهند وإندونيسيا، واتحدت كافة الظروف في صف نيك، حيث حصل على دعم آخر من منظمة خيرية بكالفورنيا، وانتهت الأزمة الخاصة بالتمويل، ولكن بقيت الرحلة معلقة بسبب الظروف الأمنية.

لا بد أن ينال الصابر أجر صبره

أخبر نيك عمه بما كان من بريان ومن المؤسسة الخيرية التي عرضا عليها الدعم، فقال له عمه» ألم أقل لك أن اياماً أفضل سوف تأتي وستستطيع أن تحصل على ما أردت، هذا لأنك لا يمنعك شيء عن الاستمرار في السعي» وبالفعل بدأت الرحلة وكانت بومباي هي أولى محطات تلك الرحلة، وقام بزيارة الكثير من الأماكن هناك فقد تحسنت الأمور معه ليفعل ما جاء من أجله، ونزل نيك وفريقه في فندق «ثاج» الذي تعرض للهجمات الإرهابية بعد مغادرة نيك بيومين فقط، واسفر الحادث عن ١٨٠ قتيلاً و٣٠٠ مصاب، ربما لو تأخر أو تقدم يوم واحد أو يومين لما خرج من مومباي، إلا أننا نرى كيف اتحدت الظروف لتصير في خدمة أهداف نيك لأنه لم تستطيع أن تقهره أو تمنعه عن القيام ما يريد به.

الإقدام على الحياة

لم يكن نيك هو وحده من استخدم قدمه اليسرى، التي كانت الخيار الوحيد أمامه للقيام بالأمور الروتينية، خاصة وقد وفر العلم عليه الكثير من العناء باختراع الآلات والأدوات التي يتم التعامل معها بلمس شاشاتها، فهناك أيضًا كريسبي براون حتى لا نظن أن نيك حالة استثنائية. ولد كريسبي براون في دوبلين، بأيرلندا عام ١٩٣٢ وكان هو الابن العاشر لأسرة يبلغ عدد أطفالها ٢٢ طفل، وقد ولد طفلًا طبيعيًا تمامًا وتمتع بحياة طبيعية حتى تعرض لحادث أدى إلى العجز الجسدي بثلاثة أطراف من أطرافه، وفقد حاسة السمع ولم يعد يتكلم بشكل طبيعي، ظن الأطباء أن براون يعاني من خللاً ذهنيًا حينها، ولكن والدته رفضت وصف ابنها بذلك الوصف، و كانت ترى أن تصرفت فتاها تُنبئ عن عقل واعي لما حوله لكنه لم يعد يستطيع سماع الآخرين أو التعبير عن نفسه لأنه جسديًا بات معاقًا في جميع أطرافه عدا قدمه اليسرى، ولم يعد ينطق الكلام بشكل مفهوم. منحت الأم لطفلها مزيدًا من وقتها كما فعل

ذلك بقية العائلة، فقد كان من عائلة كبيرة، لن يستغرق من كل واحد أفرادها نصف الساعة في اليوم، لكنهم منحوه أكثر من ذلك، وساعدوه في اكتشاف ما يملكه، دون النظر إلى ما فقده ذلك الطفل، وبات يساعدونه على التفكير في الاستغلال الأمثل لقدمه اليسرى في التعويض عن مهام الأطراف العاجزة، ولم يكون بوسع كرسبي إخبارهم بما يفكر فيه، وذات مرة أمسك بأصابع قدمه بطبشور، وكتب لأخته كلمة أو كلمتين، ركزت العائلة على مساعدته في القيام بالمزيد من الأفعال بقدمه اليسرى وبالفعل نجح كريسبي في الكتابة بقدمه اليسرى بشكل جيد، ثم زرعت العائلة في رأس كريسبي فكرة أنه يستطيع الرسم بها أيضًا، واستطاع ذلك فعلاً، وبفضل وقوف العائلة، وعدم تركها لذلك الطفل بات كرسبي شاعرًا أيرلنديًا معروفًا ورسامًا أيضًا، وهو يمارس العديد من الرياضات أولها السباحة. إننا نعرض الكثير من النماذج الناجحة التي تحدت إعاقتها واستطاعت التغلب عليها، للتأكيد على فكرة أنه بإمكان أي شخص أن يصبح ما يريد، كل ما عليه أن يعرف ما يريده، فقد فعل ذلك الكثير من الحالات الاستثنائية وسواءً كنت

من الأصحاء أو من المعاقين، فعليك أن تعلم جيدًا أنك يمكنك أن تتغلب على الظروف، وإذا أدركت أن كريسبي الذي نظر إليه نيك كمثله الأعلى، استطاع أن يؤلف العديد من الكتب، وقد قام مخرجًا أيرلنديًا بإخراج فيلمًا استوحاه من كتاب يوميات كريسبي الذي كان بعنوان «بطولات كريسبي» وحققت أعلى مبيعات، وقد حصل بطل ذلك الفيلم على جائزة الأوسكار عن بطولة ذلك الفيلم، أليس هذا بنجاح استثنائي، هكذا هي الحياة، كلما كانت الظروف أكثر استثنائية كان النجاح كذلك أكثر استثنائية.

النظر إلى الحياة بشمولية أكثر

كان نيك ينظر إلى الحياة من منظور ضيق جدًا، لا يرى منه سوى نفسه ولا يفكر في الآخرين، حتى ممن هم في نفس ظروفه، رغم أنه سمع ورأى عن تجارب كثيرة لأناس أصعب منه حالاً، فعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره سمع أن شخصًا يدعى «جاك» تعرض لحادثة أدت إلى لزومه للسرير بشكل دائم فلم يعد يستطيع أن يحرك أي عضو من جسده أو أن يتكلم، فشكر نيك ظروفه، وقال في نفسه إنه على الأقل يستطيع الحديث والذهاب والعودة من المدرسة وأمور كثيرة، فهو يملك ما يمكنه من مواجهة التحديات التي تواجهه، لكن جاك لا يملك شيئًا بالمرة، ما جعله يدرك بأن مرضه ليس عقابًا من الخالق، بل هو مجرد أمر صغير يستطيع أن يتداركه، كما أدرك أن عليه أن يسعى خلف أحلامه، وأن لا ينتظر أجابات من أحد على أسئلته، وسيعرف الغاية من وراء خلقه بتلك الإعاقة، حتى ولو كانت تلك المعرفة بشرية وناقصة أو بعيدة عن الكمال، إلا أنه يثق في أنه سيهتدي إلى ذلك ولو بعد حين.

ضرورة اتخاذ القدوة

كان لنيك مدرس في المدرسة الثانوية يدعى «ريجي دابس»، وذات يوم سرد ريجي قصة حياته أمام ألف وربعمائة طفل وكان يومًا مملاً وبه الكثير من الانتظار، إلى أن بدأ ريجي في سرد قصته، أخبرهم بأنه ابن عاهرة غير متزوجة تدعى «لويزيانا»، وأن والدته حينما أدركت حملها، كان الإجهاض أول ما خطر ببالها، إلا أنها لحسن حظ ريجي عدلت عن قرارها، وفكرت في الاتصال بإحدى المدرسات التي رأت منها الكثير من المحبة، قامت لويزيانا بالاتصال بتلك المدرسة، وكان اسمها مدام دابس، رغم أنها لم تسبق أن طلبت منها شيء، وقامت مدام دابس وزوجها بتبني ريجي، ونشأ وسط ستة أطفال آخرين من أبناء تلك العائلة، وأعطوه لقب العائلة، ثم انطلق ريجي في الحديث عن الطريقة التي تربى بها، وذكر أن أول الدروس التي تعلمها في منزل عائلته بالتبني، هو عدم الاستسلام للظروف الصعبة أو المحن لأننا دائمًا نملك حق الاختيار بين ما هو إيجابي وما هو

سلبي، كم أخبرهم أيضًا أنه دائمًا ما يتخذ القرارات الصحيحة لأنه يضع كافة الاحتمالات الممكنة بعين الا عتبار قبل أن يتخذ قراره، وكان يعرف أنه لن يستطيع تغيير ماضيه، فقد ولد لعاهرة دون أن يعرف والده، لكنه استطاع أن يغير مستقبله، وتأثر به نيك كثيرًا، وصار ريجي قدوته، وكما لم يكن لنيك ذنب كي يولد بدون أطرافه، لم يكن ريجي مذنب كذلك، ليولد لعاهرة لا تعرف والد فتاها، وقال لهم ريجي»ربما لن تستطيعوا أن تروا الطريق الخاص بكل منكم الآن، إلا أنه موجود دائمًا، عليكم أن تؤمنوا بذلك»

جاء رجلاً إلى نيك، حيث كان نيك في رحلة إلى شرق آسيا، وكان الحضور في القاعة كلهم من المدراء التنفيذيين، وهم يبدو عليهم الثراء، فهم من طبقات المجتمع العليا، تقدم ذلك الرجل إلى نيك وقال له «ساعدني» لو حضر أحد منا ذلك الموقف ورأى الفرق بين نيك وطالب المساعدة لقال» إن نيك هو من بحاجة إلى المساعدة» لكن ذلك الرجل كان لديه فتاة في الرابعة عشر من عمرها، ترى أنها دميمة جدًا، وأنها لن تتمتع بشخص يحبها كبقية صديقاتها، يقول والدها أنها كلما نظرت إلى المرآة شعرت بالحزن، وأخذت

فترة طويلة من الوقت كي ترد على من يكلمها، وكان ذلك الرجل يرى أن ابنته جميلة، وأراد من نيك أن يعرض له طريقة، ليجعلها تنظر إلى نفسها كما يراها هو، فأمره بأن يحبها من كل قلبه ولا ينظر إلى ما بها من سلبيات لكي لا تنظر هي أيضًا إليها، وأن يخرج معها، ويظهر لها حبه، بان يقضي معها أوقاتًا كثيرة دون أن يتركها وحدها، لأنها كلما ظلت وحيدة ستعود للتفكير في ذلك الأمر، وطلب منه أيضًا أن يشركها في بعض النشاطات الاجتماعية والفنية وغيرها من النشاطات لتدرك موهبتها، وأمره بأن ينصحها بأن لا تستمع إلى من لا يقدر قيمتها، لأننا نصبح عرضة للسقوط عندما نقيم أنفسنا من وجهة نظرهم، ولابد لتلك الفتاة أن تتقبل نفسها، لأن من لا يتقبل نفسه لا يستطيع أن يتقبل أي شخص آخر، ولا يتقبله أحد مما يؤدي به في النهاية إلى حياة من الوحدة والعزلة، ثم أعد نيك محاضرة للمراهقين بالقرب من منزل ذلك الرجل، وتحدث أمامها عن معاناته دون أن يشر إليها بشيء، وتحدث عن عدم تقبله لذاته وهو طفل صغير، وعن عدم تقبل الآخرين له، إلا أنه بمجرد قبوله لنفسه كما هي، قبله الآخرين كما هو، ثم سألهم «من منكم يردني أن

أكون صديقًا له؟» فرفع معظم الحضور أيديهم، فقال لهم «إنكم تريدون مصادقتي لأنكم ترون أنني بي بعض الميزات بغض النظر عن شكلي أو هيئتي، لتكمن قيمتكم هكذا في قلوبكم، ولتؤمنوا بأنكم تستحقون الأفضل « بالطبع كانت لتلك الكلمات أثرها على نفس تلك الفتاة، فهي كلمات بسيطة، لكن هناك مثلٌ معروف يقول «ما يخرج من القلب يصل إلى القلب» فقد كان نيك يؤمن من كل قلبه بما يقوله، لذا استطاع أن يغير من حياة تلك الفتاة، ولم تكن تلك الفتاة هي الوحيدة من بين الحضور ممن أثرت فيها كلمات نيك، فقد جال العالم كله لينير طريق الآخرين، ويضع أمامهم الخيار الآخر، الذي لا يستطيعون رؤيته، وهو أنهم جميعًا بإمكانهم أن يغيروا حيواتهم إلى الأفضل، واختلفت طبيعة المجموعات التي آثر عليها نيك، منها المدمنين والمساجين، والمهمشين في أكثر أماكن العالم فقرًا، فقد أدرك أن تلك رسالته، ولم يترك جهدًا إلا وبذله لمساعدة هؤلاء اليائسين من جميع دول العالم.

تقول المعلمة النفسية الشهيرة "إليزابيث كوبيلروس " إن البشر يشبهون الزجاج الملون، تجعله الشمس يلمع من الخارج،

وعندما ينزل الظلام ينكشف الجمال الحقيقي للألون على اختلافها، هذا إذا وجدوا طاقة النور الموجود داخلهم " وفيما يبحث المدمن عن سعادة وهمية فيما يتناوله من مواد مخدرة وكحوليات، دون أن يدرك أن السعادة الحقيقية لا تطلب منه أن يتناول أي شيء، كل ما عليه أن يقدر قيمة عمره لحظة بلحظة، ويعرف أن ما يراه من جمال وما يشعر به من نجاح هو نجاح وهمي، وإن كان ذلك الشعور يشبه رؤيته لأجمل فتاة على وجه الآرض، فإن النجاح والسعادة الحقيقية هي أجمل بنات الحور في السماء، فتصرف كما شئت واقبل نفسك كما أنت، حتى لو كان بك الكثير من العيوب، فالإدمان لن يغير من عيوبك، بل سيجعلها تتكاثر داخلك، وتنتج المزيد، وكل ما يشعرك بالراحة وأنت تحت آثر المخدر، هو أنك لا ترى تلك العيوب، لتنظر إليها جيدًا الآن وتتأكد أنك ستستطيع أن تغيرها، هذا بالطبع إذا كنت تراها، فلتتخلى عن تلك العادة التدميرية، ولتثق في أنك تستحق حياة أفضل من تلك التي تعيش بها، لأننا جميعًا إذا لم يكن بنا عيوب، فما الذي يجعلنا نريد أن نتغير، ولتنظر إلى ما تغيرت بك من عادات على مر السنوات، وتتذكر دائمًا أنك تستطيع

أن تكون أفضل مما أنت عليه الآن، ولتبدأ بإعطاء قيمة حقيقية لكل ساعة من عمرك، وطالما حييت فلتفكر أن تكون منتجًا حتى لا تكون عالة على أحد أفراد المجتمع فتعيقه عن تحقيق أحلامه، وانظر إلى جميع من حولك، فلن تجد شخصًا يضيع ساعات وأيام عمرها في التسلية والترف يحقق نجاحًا في أى شيء، إن الحزن الحقيقي حتى ولو كان شديدًا أكثر فائدة من السعادة الوهمية التي يحصل عليها المدمن من المواد التي يتناولها، وليكن الإدمان نموذجًا لكافة العادات والأفكار التدميرية، فلنتخلص منها جميعًا لأننا نستطيع أن نكون أفضل.

بينما كان ينظر أصدقاء نيك إلى نفسهم بالمرآة، وينزعجون من حب الشباب، والثمنة أو المظهر السيء، فقد كان ذلك كله يزعج نيك، إضافة إلى أطرافه التي حُرم من وجودها، لكنه كان دائمًا ما يتذكر كلمات والدته، التي طالما قالت له إنه بالرغم من أنه يفقد أطرافه إلى أن به من السمات ما يميزه عن جميع أصدقائه، فهو أكثر استماعًا للآخرين، وأكثر نهمًا وتعطشًا للمعرفة، ربما لو خلقه الله بأطرافه لاختلفت طباعه عن تلك التي يتمتع به الآن، كان يجد في

مثل هذه الكلمات السلوى، ويقتات عليها ليصلب عوده أمام تلك التحديات التي تواجهه واحد تلو الآخر. لو لم يكن نيك طموحًا وحالمًا، لما سمع عنه أحد، ولكنه كلما حزن أو ألمَّ به ما يحزنه، تذكر ان الله وهبه عينين، وموهبة في اكتساب ثقة الآخرين والاقتراب منهم، فالجمال معنى جوهري يكمن في النفس لا في الشكل، لذا يجب أن لا نقسى على أنفسنا حين تغمرنا الحياة بالمصاعب، وننظر تلك النظرة السلبية إلى أنفسنا، فكثيرًا ما يشعر معظمنا بالغيرة من أصدقائه حين يحقق نجاحًا ما أو يفعل شيء يكتسب به محبة الناس، وهذا شعور جيد ومفيد، ويصبح أكثر فائدة إذا تعلمنا مما نراه لنتقدم إلى الأمام، لأننا لن نجد حياة شخص آخر تتناسب مع شخصيتنا، فالبشر رغم كثرة عددهم، إلا أنهم يختلفون عن بعضهم البعض، لذا نجد الحياة متكاملة بالجهود المختلفة التي يفعلها كل شخص، فإذا قام إنسان باكتشاف في النصف الآخر من الكرة الأرضية نجد ان ذلك الاكتشاف يؤثر فينا وفي غيرنا، فهذه هي الحياة، كل له دوره الخاص به، ويجب عليه أن يؤده على أكمل وجه ليستفيد منه الآخرين ويكون قدوة لمن في مثل سنه،

فالتجارب الناجحة تؤثر في نجاح المجتمع وتنميته. كان نيك يظن أنه لا يملك شيئًا مميزًا في البداية، فكل ما رآه بنفسه هو انه أقل من الآخرين قدرة، وأنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء يؤثر في الطريقة التي ستؤول إليها حياته في المستقبل، لكنه بتكرار النظر إلى نفسه وتحليله لما يمر به من مواقف، أدرك انه يتميز بدرجة من العمق في النظر إلى ما وراء الأمور المادية الملموسة، لا يتمتع بها أحدًا ممن يعرفهم، وقد تأكد له ذلك حين كان يتحدث أمام مجموعة كبيرة من الناس معظمهم من الشباب، إلا أنه كان هناك عدد لا بأس به من كبار السن، وبينما ذكر لهم ذلك اليوم الذي خرجت والدته إلى السوق، وأراد أن يعد لنفسه شيء يشربه بالمنزل، وأنه ظل لأكثر من ساعة يفكر في كيف سيقوم بذلك، ثم تحرك بكرسيه نحو المطبخ، واقترب بكرسيه من الثلاجة، وفتح الباب برأسه ونظر إلى ما يوجد بها من عصائر، ووقعت عيناه على ما يريد كلن ما يريد كافي أعلى رف بالثلاجة ولن يتمكن من الحصول عليه، عاد مرة أخرى، وبينا هو يائسًا يفكر في أنه لن يكون له أية فائدة في هذا المجتمع، فهو لا يستطيع أن يساعد نفسه، إذ به يرى تلك العصا الصغير التي

تركه له جده، فتذكره دامعًا، إلا أنه أدرك أن هاناك سبب وراء رؤيته لتلك العصا وتذكره لجده وهو في تلك الحالة، تحرك نحوهها والتقطها بأسنانها، ثم عاد مرة أخرى إلى المطبخ، واقترب جيدًا من الثلاجة بعد أن فتحها، وراح يحرك العصا محاولاً أن يُسقط بها زجاجة العصير إلى أن سقطت على كرسيه، ففتحها وشربها، ربما لا نجد في تلك القصة أمر يستحق عناء السرد أو الاستماع، لأنها عبارة عن شخص أراد أن يشرب شيئًا وفعل ذلك، وذلك لأننا لا نشعر بتلك الأمور التي نستطيع أن نفعلها بكل سهولة، ولا نفكر بأن هناك أشخاص آخرون يعانون الكثير للقيام بالأمور البسيطة مثل هذه، تحدث إليهم نيك وعينيه دامعتين، لأنه يسرد قصة عن عجزه عن القيام بأتفه الأشياء، وأخبرهم أنه كما كانت هناك غاية من خلقه بهذه الإعاقة، فلابد أن تكون هناك غاية، لخلقكم أصحاء فلتبحثوا عن تلك الغاية، ولا تيأسوا من البحث، لأن الغاية موجودة، وستجدونه إذا لم تفقدوا الأمل. نظر نيك إلى ردود أفعالهم، فوجد بعضًا من الفتيان يخرجون من القاعة التي يلقي فيها خطابه والبعض يجلس واضعًا يده على وجهه والبعض

الآخر يبكي دون أن يشعر، ثم يتفاجأ بدمعه على وجهه. زاد يقين نيك بأنه شخص خُلق ليؤثر بمن حوله من البشر حين اصطف عدد كبير جدًا من الموجودين لعناقه، وكان يحصل من عناقهم على دفء بالقلب يكفي ليجعله صامدًا في أشد وأقسى الظروف.

ومن بين أكثر القصص التي أعطت نيك قيمة لوجوده، وجعلته يدرك أنه جُعِل معاقًا لسبب، قصة كريستي، تلك الفتاة التي أدرك من رسائلها الكثيرة أنها على وشك الانتحار، وقد كان مشغولاً لفترة من الوقت ولم يكن بإمكانه قراءة كافة الرسائل التي ترد إليه، وحين قرأه شعر بالحزن الشديد لأنه لم يرد على رسائل تلك الفتاة، وساوره شعور بالرعب أن عدم رده قد يتسبب لها بالمزيد من اليأس والإحباط، وبينما هو يفكر وهو جالسٌ أمام جهازه إذا برسالة جديدة تأتي من كريستي، تنفس نيك الصعداء لأنه علم من تلك الرسالة أن كريستي لم تزل بخير، حتى ولو تزايدت حالة ليأس والإحباط التي تشعر بها، إلا أنها لم تزل على قيد الحياة، وتأمل أن يرد عليها نيك، سارع نيك بالرد على رسائلها وأدرك أنها يائسة لأن مجموع درجاتها لم تؤهلها إلى الالتحاق بالجامعة التي ترغب

في الالتحاق بها، فتحدث إليها نيك عن تلك النماذج الناجحة التي ظن الجميع بما فيهم عائلاتهم في البداية أنهم متخلفين عقليًا، بل ووصلت الأمور مع بعض الأشخاص إلى أن عائلاتهعم ألحقهوم بدور رعاية الصحة العقلية، وأخبرها أنه سعيدٌ لأنها تعرف ما تريد أن تكونه، وحدثها عن أن الأمل في أن تصبح ما تريد لم ينتهي، فهناك مجال التعليم الخاص مفتوح أمامها، وأن كل ما عليها هو النجاح في المجال الذي تأهلت إليه والتميز فيه، لأننا إذا أردنا أمرًا ولم نحصل عليه، فيجب أن ننظر إلى ما نملكه، وماذا نستطيع أن نفعل به كي نحصل على ما نريد فالحلول دائمًا موجودة، وأخبرها في نهاية رسالته أنه يريد أن يسمع أخبار نجاحها الحالي، وينتظر منها في المستقبل أن تحصل على ما أرادت في البدابة، وأن لا تتحول عنه. قد تبدو ذلك نصائح يستطيع الجميع أن يقدمها لمن يحتاج إليها، إلا أنه من يقولها قد لا يؤمن بأن ذلك ممكنًا، إلا أن نيك أخبر كريستي أنه متأكدٌ من أنها تستطيع الجمع بين الأمرين، بين الأمر الذي تملكه، والأمر الذي تريده ولن تجد صعوبة كبيرة في الحصول عليها، وأمرها أن تأخذ ذلك الأمر تحدي، وتُثبت للدنيا بأكملها

أن الحياة بلا حدود، بل إن واضع تلك الحدود هي الأفكار المظلمة والمشاعر السلبية، كل ما عليها أن تؤمن فقط أنها تستطيع أن تفعل ذلك، وتتبع ذلك بالمجهود اللازم للحصول عليه، ولا تصدق إلا ما يخبرها به قلبها، فعليك أن تثق بنفسك كي تكتسب ثقة الآخرين. كان نيك لا يقتنع بحديث والده ووالدته، وكان يقذف بما يكنوه له من مشاعر إيجابية عرض الحائط، ولا يلقي لها بالاً، ولا يتذكر سوى ما يقولوه رفقائه بالمدرسة من كلمات ساخرة بشأن مظهره، وكان والده ووالدته يقضون أسابيع بأكملها لمحو الآثار التي تركتها أقوال هؤلاء الأطفال، لأنه كا مُعجبًا بأحد الفتيات بالمدرسة، وكان يريد صداقتها إلا أنه كان يخشى رد فعلها تجاهه، وكان يخشى أن تجرح مشاعره إذا حاول التقرب أو التودد إليها، فكان يعتزلها تمامًا ولا يستطيع الحديث أمامها، إلى أن أتى اليوم الذي أخبرته فيه هذه الفتاة من تلقاء نفسها أنه ذو إطلالة رائعة، وبات نيك منذ تلك اللحظة يدرك أن الجمال يكمن في النفس والجوهر لا في الشكل، فكم من كتاب يبدو لمن يراه جميل جدًا من مظهر غلافه، وتقنية تصميمه، إلا أننا حين نقرأ ما به من كلمات نجدها أقل قيمة

من أن توضع في كتاب، ولا تستحق عناء القراء، فهناك كتب وأمور أخرى، ستكون أكثر قيمة لو فعلناها بدلاً من انجذابنا نحو الشيء البراق، ونحن لا نهمل بالطبع قيمة الشكل، لكننا بصدد القول أنه لا حاجة للشكل دون مضمون أو جوهر، لقد كان لكلمات تلك الفتاة أثر بالغ في نفسه فهذه هي الفتاة التي ظن نيك أنه لن يأتي اليوم الذي تنظر فيه إليه تلك الفتاة، وإذ بها هي التي تتقرب إليه وتحدثه لتغير أفكاره عن نفسه وتجعل رؤيته لنفسه تختلف كثيرًا عن ذي قبل، فتلك الكلمات هي التي جعلته يقبل بمنظره السيء الذي أصبح عليه، بعد أن ظهر بوجهه كيس دهني، ولم يكن يريد الذهاب إلى المدرسة، لكنه تذكر، أن هذه الإصابة ليست أسوأ من فقدانه لأطرافه الأربعة، وقد أخبره والده أن الجميع يتعرض لمثل هذه الأمور، فهو أمر طبيعي، وأنه علم أن الممثل الكبير "براد بيت" نفسه قد عانى من ذلك لمرة أو مرتين. كان نيك في صغره معجبٌ جدًا ببراد بيت، وكان يراه الممثل الذي يملك أجمل إطلالة من بين جميع الممثلين، ولكنه لم يقنع بذلك، وطلب من والده أن يذهب به إلى الطبيب ليتخلص من ذلك الكيس الدهني الذي بدا له أنه كارثة

ألمت بوجهه. بالفعل ذهب نيك مع والده إلى طبيب للأمراض الجلدية، وطلب نيك من الطبيب التخلص مما به بأي شكل، سواءً بالكي أو بالقطع، لكن الطبيب أخبره أن ذلك سيترك بوجهه ندبة تبقى معه طوال حياته ولن يستطيع التخلص منها أبدًا، وكتب له على بعض الأدوية، وخرج نيك من عند الطبيب غير مقتنع بما قاله، وذهبوا إلى طبيب آخر، ولكنه أخبره، بنفس ما أخبره به الطبيب الأول، فعاد نيك إلى المنزل محبطًا، وأصر والده ووالدته على ذهابه إلى المدرسة في اليوم التالي، دخل نيك إلى الفصل، وحين نظر إليه أصدقائه راحوا يضحكون عليه، فقد كان ذلك الكيس الدهني كبير الحجم، وقد غيَّر من وجه نيك تمامًا، وقال له أحدهم ساخرًا "إنك تبدو أجمل من ذي قبل" وشخص آخر" إنها كبيرة جدًا لابد أنها تحجب عنك الرؤية" وفي تلك اللحظة شعر نيك بالحزن إلا أنه كان مُلهمًا، وفكر في أنه لو أبدى لهم حزنه لما تركوه أبدًا ولظل مزحة الفصل لفترة طويلة، فقرر أن يتفاعل مع سخرياتهم ويتقبلها، بل ويسخر هو أيضًا من نفسه، فذلك الأمر مدعاة للسخرية، فلا يحزن مما يفرح به الآخرين، فقال لهم "إنني أُفكر في أنه ربما يكبر ويصبح

لي وجهًا أخرًا فأبيعه بالسوق السوداء" ضحك جميع الموجودين، وزال الحزن عن نيك برسمه الابتسامة على وجوه أصدقائه، وصار يشاركهم سخريتهم، حتى لا يشعر بالحزن، فأحيانًا نفعل كما فعل نيك، وذلك هو ما يجعلنا ننظر إلى الأمور البسيطة على أنها أمور خطيرة، ولكننا حين ننظر إليها كما ينظر الآخرين، فإنها تأخذ حجمها الطبيعي.

تذكر أن الجمال قيمة عمياء

حين تعتقد أحد الفتيات أو الفتيان أنهم على درجة من الجمال تؤهلهم للظهور على أغلفة المجلات أو الظهور على الشاشات كأبطال للأفلام السينمائية، فإنهم لا يدركون أن هذا الجمال قيمة عمياء، تكمن في عين من ينظر إلينا، فقد نرى أنفسنا أجمل ما خلقه الله من بشر، وهو أمر إيجابي ويجب أن يشعر به المرء من حين إلى آخر، إلا أنه لو كان يدفعه تجاه التفكير بالسلبيات، وأنه لا يوجد بالحياة الفرص المناسبة لشخص في مثل جماله، أو تأنقه، فلن يفعل شيء ذو قيمة وسيصبح جماله نقمة لا نعمة، فلنترك تلك القيمة ولا نصف بها أنفسنا كثيرًا، لأن هذه الصفة على وجه الخصوص يجب أن تأتي من عين الرائي، لا من أعيننا نحن، فلا شك أننا جميعًا نرى أنفسنا على قدر من الجمال، ولكن هناك من يأخذه الغرور إلى مدى بعيد من السلبية، فتجربة نيك مع الفتاة العمياء التي لم يبلغ عمرها خمس سنوات، أكبر مثال على أن الجمال يكمن في عين الرائي، إذ طالما شعر نيك بأن لحيته تجعله يبدو أكثر وسامة، فكان يكتفي بتجذيبها

فقط، وذات يومٍ دخلت عليه القاعة التي يلقي فيها خطابه امرأة تمسك بطفلتها في يدها، وكانت تلك الطفلة، تملك مظهرًا يأسر قلب من ينظر إليها، فلاحظها نيك، ونظر إليها مشيرًا إلى الطفلة بالاقتراب منه، فأخبرته والدتها بأنها بكماء، وجلست هي وفتاتها إلى أن نفذ نيك من إلقاء خطابه الذي أكد فيها على أن المعجزات تحدث كل يوم، ولكننا لا نستطيع أن نرى ما يمر بنا من معجزات، لأننا ننظر إليها وكأنها حادث عرضي، ولن يتكرر مرة أخرى، لكننا إذا راجعنا الأحداث التي سبقت ذلك الموقف، سنجده في مكانه ووقته المناسب له تمامًا فكل شئ سبقه كان يوحي بذلك، إلا أننا لم ننظر بعمق في دلائل وإشارات ما نمر به من مواقف، وبعد أن انتهى من حديثه اقتربت والدة الفتاة بفتاته من نيك وأخبرتها أن هذا هو نيكولاس الذي كان يتحدث منذ قليل، وقالت لها أيضًا أنه قد حُرم من أطرافه الأربعة دون حادث أو ما شابه ذلك، بل ولد هكذا، فأخبرت الفتاة والدتها بأنها تريد أن تتلمس جسده، لتعرف كيف يبدو مظهره، فسألته نيك أن يسمح لها بذلك، ووافق نيك، وأرشدت الأم يد الطفلة الصغيرة إلى جسد نيك، فراحت

تبحث بيدها عن مكان كتفيه، ولم تجد سوى كتفين فارغين من الأذرع، وكذلك موضع قدمه اليمنى، ثم تلمست قدمه اليسرى الصغيرة وهي تبتسم، ثم رفعت يدها باحثة عن وجهه، وحين لامسته أُصيبت بالفزع، فلم يسبق لها أن تلمست وجه شخص مُشعر،وقالت لوالدتها إن الشعر يغطي وجهه بالكامل، وأخبرتها والدتها، أن هذه هي طبيعة الرجال، فترددت الطفلة في تصديق أمها، وبدا ذلك عليها، فأخبرتها أن والدها يحلق ذقنه كل يوم، فابتسمت الفتاة لمعرفة والدتها بما يدور في خلدها دون أن تُفصح عنه. كان نيك يُدرك أنه يبدو أكثر وسامة كما ذكرنا من قبل حين يترك لحيته، ولكنه عرف من نظرة تلك الفتاة العمياء، التي تستطيع الإبصار باللمس أن ذلك غير صحيح، وأن الجمال قيمة يهبها الناظر لما ينظر إليه.

سياسة السير ضمن القطيع

إن النسبة العظمى من البشر يفكرون فيما يفعله الآخرين ويحاولون تقليده، بدون أن يظنوا أن من يحاولون تقليده قد يكون كارهًا لما بمر به من مواقف في حياته، أو قد مل من عمله ووظيفته، ويحاول جاهدًا أن يعتمد على أمرٍ آخر في حياته، لأنه يشعر بأنه مميز عن غيره، أما ذلك الذي يسعى وراء تقليد الآخرين، لا يجد نفسه يتميز عن بقية البشر في شيء. لا شك أننا جميعًا نتشابه في حاجاتنا الأساسية من مأكل وملبس ومسكن، لكن تختلف طريقة كل منا في تلبية تلك الاحتاجات، فهناك من يؤمن هذه الاحتياجات ثم يشعر بأنه لم يعد بحاجة إلى شيء، ويقنع بما وصل إليه ويرضى بأن يعيش لأخر يوم في عمره في حياة روتينية بحتة، لا تتسم بالطموح أو بالأمل في أن يصبح شخصية عظيمة، أو إنجاز أمر يظل العالم كله يذكره له حتى بعد رحيله، كما يذكر العلماء الكبار أمثال أينشاتين، وإديسون.... إلخ.

فذلك ما يطلق عليه نيك بسياسة السير ضمن القطيع، ويقول أنه نفسه وقع في تلك السياسة الحمقاء من قبل، حين فكر في أنه لن يتمتع بمستقبل طبيعي، مثل كل من يراه من حوله، فلن يحصل على زوجة أو اولاد، أو وظيفة مناسبة، لأنه لم يكن يعرف أن الله قد خلق طرق في الحياة بعدد ما خلق من بشر، إذ أن هناك مقولة من التراث الصوفي تقول "إن الطرق إلى الله بعدد الأنفس التي خلق" فلنأخذ من تلك المقولة الحكمة التي تلزمنا، ولنكن على يقين أننا نستطيع أن نجد طريقنا الخاص بنا لأنه موجود، كل ما علينا أن نبحث في أنفسنا عما نتميز به عن غيرنا، حتى ولو بدت للآخرين على أنها عيوب طالما ميزتنا عن غيرنا، فلابد أنه هناك هدف من وراء تلك العيوب التي تقتصر علينا نحن لا على غيرنا، علنا أن نعرف ذلك الهدف ونستغله فيما يُفيدنا ويفيد المجتمع، ونثبت لمن رأى تلك العيوب أنه لم يكن ينظر جيدًا، لأننا برغم تشابهنا في الكثير من الأمور، إلا أن نظرتنا تجاه كل هذه الأمور التي نتشابه بها تختلف من شخص إلى آخر، وإذا كنا لا نصدق ذلك فليتذكر أحد المرات التي تعرض فيها لموقف صعب في الحياة مع مجموعة

من أصدقائه، أو بعض أفراد عائلته، ويتحدث إليهم بشأنها لينظر ماذا دار بخلد الآخرين من أفكار أثناء ذلك الموقف أو الحادثة، سيجد أن كل شخص كانت له مخاوفه الخاصة، حتى ولو كانت الاختلافات بسيطة، لكنها تنبئ عن اختلاف عميق في داخل كل فرد، وليدرك كل من أن الاختلاف عن الأخرين هو أحد مرادفات التميز، ولنبتعد عن سياسة السير ضمن القطيع، فبهذه الفكرة يتضاءل دور الفرد، وتصبح كافة جهودنا متشابهة، لأننا نسير جميعًا بغرض تحقيق هدف واحد، وقد كانت تلك إرادة نيك في بداية الأمر، كان ينظر إلى ما يفعله الآخرون، ويحزن لأنه لا يستطيع مجاراتهم فيما يفعلونه، لم يكن يستطيع السير ضمن القطيع، وكان جميع من حوله ينظر إليه وكأنه قادم من كوكب آخر، بل وأكثر من ذلك، فلقد ظن جيران جده، أثناء زيارته له، أن جده اشترى شيئًاغريبًا من محلات لعب الأطفال، ولم يجول بخاطرهم أنه طفل حقيقي، لدرجة أنه أفزع إحدى صديقات جده، و حين تحدث نيك ارتعدت تلك المرأة وتراجعت إلى الخلف قائلة" لقد سمعت تلك الدمية تتحدث" فأخبرها جده بأن ذلك حفيده نيك، وتأسفت لهم،

لكن نيك أخبرها أنه لا بأس بذلك، لأنني شعرت بأنني جميل مثل الدمية التي قد يتوقف شخص ما ليشتريها، لم يحزن نيك مما فعلته تلك المرأة، بل شكرها، لأنه في ذلك الوقت أصبح يدرك جيدًا أن اختلافه عن الآخرين ليس بعيب، بل ميزة يستطيع أن يستغلها، في نيل ما لم يناله غيره من أمنيات، وسار بداخله رغبة أن يذهب إلى أحد محلات بيع الملابس التي رأى بها أن تماثيل عرض الملابس الداخلية تشبهه به كثيرًا لأنها لاتحتاج إلى الأقدام أو الأيدي، وقد قرر أن يذهب ذات يوم ويبحث عن وظيفة كعارض بشري للملابس، بالطبع كانت تلك الفكرة وليدة ما قالته السيدة التي شعرت بالرعب حين سمعت صوته، لكنها فكرة تبدو خيالية أكثر منها واقعية، وهنا تذكر نيك مقولة أخرى لكاتبه المحبوب فينسنت بيل التي يقول فيها "إن الخيال هو البساط السحري الحقيقي" ففكر نيك في ذلك بواقعية، وأدرك أن هذه فرصة عمل أخرى قد بدت في الأفق، إنها ليست ما يحلم به، ولكنها قد تؤدي بالغرض، إذا لم يتمكن من نيل ما يريد، وأشعره ذلك بالاطمئنان، فهذه إذًا هي الطريقة التي استفاد بها نيك من أكثر الأمور التي قد توحي

بإيحاءات سلبية، وجعله يشعر شعورًا جيدًا تجاه عجزه.

لم يكن نيك يُفكر في وظيفته كدمية بأحد محلات الملابس بجدية، فقد جاءته هذه الفكرة بعد أن صار على يقين من أنه يستحق أن يحيا حياة كريمة، ولم تبدو له هذه الوظيفة بالأمر الذي قد يفكر فيه لفترة طويلة، بل إنها فكرة جيدة للمزاح، فهناك أموراًكثر قيمة يستطيع أن يفعلها، كأن يدعو الناس لرعاية مسابقة رمزية يشترك فيها ذوي الاحتياجات الخاصة، وتخصص أموال تلك المسابقة لضحايا الكوارث الطبيعية، الذين فقدوا منازلهم وكل ما يملكون، بل وذويهم أيضًا ولم يعد لهم شيء، بالطبع لن تكون تلك الأموال كافية لتعيد لهم ما فقدوه، أو أن تجعلهم يعيشون في نفس المستوى الاجتماعي الذي عاشوه من قبل، ولكنها ستساعدهم في عدم الشعور بالوحدة، وأن العالم كله معهم، ويتمنى لهم حياة أفضل، حتى لا تتحول حيواتهم إلى كوارث اجتماعية، فذلك العمل سيكون بمثابة إشعال شمعة في طريق مظلم ليهتدي بها السائرين، فقد كان يؤمن من داخله أنه إذا لم يستطتع أن يجد حلاً لمأساته، فسيجد السلوان والصبر في حل مشاكل الآخرين، ويقول

لنفسه دائمًا "إذا كنت لا تعرف قيمة نفسك فعليك أن تهبها لخدمة الآخرين وستعرف حينئذ كم هي قيِّمة". لم تأت تلك الحكمة من فراغ، بل مما مر به نيك من تجارب قاسية، ولكنه أدرك أن السعادة لا تأتي بالجاه والسلطان، أو بالأموال، إنها لا تأتي إلاّ عندما نفعل ما نقتنع به، وعندما يتعاظم هدفنا في الحياة كل يوم عن اليوم السابق، فالحركة والسعي هما مرادف السعادة عند نيك، وهذه هي حقيقة الأمر، فإن نظر المرء إلى نفسه ورأى أنه حقق ما سعى من أجله طوال حياته وأن عليه أن يرتاح لذلك، سيشعر بالسعادة لبعض من الوقت، ولكنه سرعان ما سيشعر بالملل كذلك، فإذا كنت تقتنع بأنك أتممت مهمتك وحققت جميع أهدافك، فما معنى وجودك بعد أن أنجزت كل ما أردته، حين تمتلكك تلك الحالة، التي لا تأتي سوى للناجحين، فلتدرك جيدًا أنك شخص ناجح، لكنك على وشك السقوط في الفشل والتراجع عن الطريق الذي رسمته منذ البداية، ونصيحة نيك في هذه الحالة أن تفعل شيء لمن حولك ولا تدع هذا الشعور يصيبك بالكسل والخمول، ويجب أن يكون الهدف من حياتك هو السعي الدائم، لأن الحركة كما



ذكرنا من قبل هي العامل المؤثر في الحياة بشكل كامل، فلتنظر إلى ورائك وترى أن كل ما أنجزته يفقد قيمته بعد فترة من الوقت، إذا لم تضف إليه المزيد، ليحتفظ القديم برونقه، وتبهر من حولك باستمراريتك، وحين يظن جميع من حولك أنك قد حققت كافة ما تحلم به، عليك أن تقنعهم أن الأحلام تتكاثر بالتحقيق، فكلما حققت حُلمًا ظهر لك حُلمًا آخرًا، وإن كنت ممن لم ينجز أي شي مما حلم به، فلتنظر إلى نفسك جيدًا، وتقبل ما بها من عيوب، وتحولها إلى ميزات، وعليك أن تبدأ في فعل ذلك اليوم بل الآن وليس غدًا، ولتستمد قوتك من الداخل ولا تنتظر أحدًا أن يفعل ذلك نيابة عنك، وقس ذلك على الأمور الصغيرة، مثل أن تطلب من أحدهم أن ينجز لك أمرًا في إمكانه أن يفعله، لكن متى؟ حين تسمح له ظروفه بذلك، لأن ذلك الشخص له ما يشغله ولن يفكر في أمرك كثيرًا حتى ولو كان أقرب أصدقائك إليك، وهو هنا لا يخون تلك الصداقة، لأنه سيفعل لك ما طلبته حين يسمح وقته بذلك، بل حتى ولو فعله، سيكون عليك تذكيره كثيرًا، حتى لا ينسى، فهناك ما يشغله عن التفكير في أمر يخصك، فالاعتماد على الآخرين لا

يجلب سوى الانتظار والملل، ولتكمن حاجتك إلى الآخرين في الأمور الروحية لا المادية، مثل أن تشاركهم ما تشعر به، أو أن تأخذ رأيهم فيما تفعل، فكلنا يحتاج إلى الآخر ولكن علينا أن نرشد استغلال تلك الحاجة، وعدم الاتكال على الغير، وأن نعرف قيمة الأشخاص الموجودين من حولنا، والسبب الذي يكمن وراء معرفتنا بهؤلاء الأشخاص، ولماذا صارت تربطنا بهم روابط أكثر عمقًا مما يربطنا بغيرهم، فكل ذلك له دلالات تجعلها أكثر فائدة إذا استطعنا قراءة تلك الدلالات، فتخيلوا معي أننا نعيش في مجتمع، يعرف كل فرد فيها قيمة نفسه، ويأمل في أن يصبح ذو قيمة أكثر مما هو عليه الآن في المستقبل، ستكون أولى نتائج تلك الفكرة أن كل منا سيعرف قيمة الآخر، هذه أولى النتائج، وقد تكون النتيجة الوحيدة، فكل ما سيحدث بعدئذ يعتبر من تداعيات تلك النتيجة، فحين يعرف كل منا قيمة نفسه، يدركها الآخرون، وحين نعرف قيمة كل منا نستطيع أن نتفاعل مع بعضنا البعض لخلق عالم جديد ينجح فيه المجتمع بشكل كلي لأن نجاح المجتمع يعتمد على النجاح الفردي الذي يحققه كل شخص على حدة، فحين تنظر إلى

أسرة صغيرة حتى ولو تكونت من الزوج والزوجة فقط، وكان كل منهما ناجح في حياته، ستجد نجاحهما، يؤدي بالنهاية إلى نجاح أطفالهم في المستقبل كلٌ في مجاله، كقصة عائلة ويليام جيمس، ذلك الفيلسوف الأمريكي الذي استطاع أن يصنع فارقًا، ويضع قوانينًا جديدة لعلم النفس، وله العديد من المؤلفات، في علم النفس، وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الديني، ومن أشهر مؤلفاته "الإرادة، الاعتقاد" وهو صاحب المقولة التي تقول " إن عظمة اكتشاف البنسلين في الطب الذي غير من قوانينه بشكل أساسي، وأوجد العلاج للعديد من الأمراض، ليس بأكثر عظمة من أن يكتشف المرء من أن بمقدوره تغيير حياته من خلال تغيير مواقفه الذهنية" رجلً يقول هذه الكلمات ويصنع اسمه في عالم الابداع والعلم، يعيش مع أخيه هنري جيمس، مؤسس مدرسة الواقعية في الإبداع القصصي الذي يعتبره الكثير مؤسس مدرسة الواقعية السحرية التي يكتب عليها معظم الكتاب الغربيين الآن، وأخيهما الأخر آليس جيمس كاتب اليوميات الشهير الذي يعرفه عالم الفن في هوليوود، لقد عاشت هذه العائلة سويًا، كل منهم يدرك قيمته

وقيمة الأخر، لذا كان أثرهم في بعضهم البعض يحدد طريق كل واحد على حدة، تخيل هذه الأسماء خرجت من بيت واحد، هذا نجاح أسرة بكاملها، لو استطعنا أن نؤثر في بعضنا البعض كما أثر هؤلاء الأخوة، ربما استطاع الإنسان أن يطير دون طائرة، أو فعل أمورًا أكثر غرابة، من ذلك، ومن لم يصدق، فليفكر في جده الذي مات قبل أن يعلم بوجود الانترنت، أو أي أمر آخر، هل كان الأباطرة العظام يدركون أنه سيأتي اليوم الذي يتحكم الامبراطور في مملكته عن بعد، أو يتخيل أن بعد مائة عام، هل ستكون هناك حاجة إلى الذهاب إلى العمل كل يوم للقيام بالعمل، قد تتغير الدنيا إلى أن تصير سلسة لدرجة انقضاء كافة الأعمال بالآلات التي تستطيع تشغيلها عن بعد، وتتغير الأولويات وتفقد الأشياء أهميتها، فلقد كان اكتشاف آلة الكاتبة اختراعًا عظيمًا لكنه الآن أصبح أقل أهمية، بعد اكتشاف برامج القراءة الإلكترونية، إننا لا نعرف ما تأتي به الرياح من سفن في الغد، ولكننا نستطيع أن نأتي بالسفينة التي نود أن نكون على ظهرها، فلكل منا زاوية مختلفة عن الآخر في رؤيته للحياة، وسواءً كناد ندرك ذلك أم لا، فإننا

لا نتفق على الخطأ والصواب، فهي تخضع في النهايات للمسلمات والاعتقادات التي نؤمن بها، ثم للقيم الاجتماعية التي نشأنا فيها، لو لم نجرب التغيير على المستوى الاجتماعي.

لقد ألهمت كلمات ويليام جيمس نيك، واقتبس منها الاسم الذي أطلقه على مؤسسته التي أنشأها لتنظيم عمله كمصلح اجتماعي، فأطلق عليها " إن مواقفك في الحياة هي حياتك وتقدمك" (قد يختلف النص الانجليزي حرفيًا عن المعنى المكتوب إلا أن مردوده الثقافي يعني ذلك) وهذا أشبه بمشاهدتك لجهاز التلفاز، فحين يُعرض على إحدى القنوات فيلم، أو برنامج، أو أى مادة إعلامية أخرى، لا تريد سماعها، أو رؤيتها، فإنك ببساطة شديدة تضغط على زر جهاز التحكم عن بعد، وتشاهد ما تريده، هكذا هي الحياة أيضًا، كلما ضغطت على زر رد الفعل عندك لتغيره، ستتغير الأفعال، لأن مفهوم العلاقة بين الفعل ورد الفعل مفهوم محدود لدى بعض البشر، فهم يعتقدون بأن رد الفعل في النهاية يبقى نتيجة، ولا ينظرون إلى أن رد الفعل هذا يصبح فعلاً، ويثير ردود أفعال تختلف من شخص إلى آخر، وربما ترى الكثير من

الدلائل على ذلك، لكنك لا تنظر إلى ما وراء رد فعلك، ومايترتب عليه من أحداث، فهو نتيجة تحدث، وتتحول إلى التسبب في نتائج أخرى، وإن لم تكن قد عشت مثل هذه الحالة، فإليك قصة ليندي، مدرسة الموسيقى الأمريكية، التى تعرضت لحادثة شديدة، في طفولتها، وخرجت من تلك الحادثة، عاجزة عن النطق أو السير، وفقدت عينها اليسرى، و ظن الأطباء حينئذ، أن ليندي لن تتمكن من السير أو النطق مرة أخرى، لأن الحادثة أصابت بعض الخلايا العصبية المسؤولة عن ذلك في الرأس. في مثل هذه الحالة، لم يكن أمام ليندي إلا أمرين، أن تصدق ما قاله الأطباء، أو أن تحاول أن تحصل على علاج في مكان آخر، فهذه هي الخيارات المطروحة دائمًا في المقام الأول، ولكن ذلك لا يجعلها الخيارات الوحيدة، بل هي الخيارت التي تبدو في الموقف الصعب إما الاستسلام أو الاجتهاد والعمل للخروج منه، لكن هناك خيارات أخرى مثل، أن تحاول هي أن تُثبت عكس ما قاله الأطباء دون الذهاب إلى المزيد من الأطباء، وكان ذلك بالفعل هو ما قررت أن تفعله ليندي، فقد اتخذت قرارها بمواجهة ذلك الموقف، بالإيمان بأنها تستطيع أن

تعاود السير والنظر واستطاعت أن تفعل ذلك، لأنها كانت على يقين أن الحياة بلا حدود، حتى لو قدر الله أن تعيش بالحالة التي وصفها الأطباء، فلقد كانت قريبة جدًا من الموت، فهي ترى أن ذلك أفضل حالاً، ربما تحول أمر الحادثة إلى أسوأ من ذلك، فالرضا كان دافع ليندي إلى تغيير حياتها، ولو اتخذت موقفًا آخر غير ذلك الذي اتخذته لاختلفت النتائج، فقد كان رد فعلها نتيجة للحادث، ولكنه أصبح فعلًا فيما بعد يحتاج إلى نتيجته، كانت النتيجة أن ليندي الآن تسير بشكل شبه طبيعي، وتتحدث بطلاقة، وكل ما تعاني منه الآن هو ضعف نظر العين المصابة، ولكنها تحظى بحياة طبيعية، بل أفضل من ذلك لأنها قبلت ما بها من عيوب، ولم تجعله يقيد تقدمها، أو سعيها لتصبح، ماتريد، فلطالما أرادت أن تعمل في مجال الموسيقى، وها هي الآن تفعل ذلك.

من الطبيعي إذًا أن يتعرض المرء لكارثة تكاد أن تنهي حياته تمامًا، وإن لم تفعل ذلك فلاشك أنها تحمل له رسالة مكتوبة بخط القدر لا يستطيع سواه قراءتها، أما نتائجها فهو يستطيع أن يتحكم بها، فحين يرسل إليك شخصًا ما رسالة، يتعين عليك الرد على

تلك الرسالة كما تشاء، وكل ما يأتي بعد ذلك يكون نتيجة لذلك الرد، فما بالكم برسالة من القدر، يغير ردك عليها حياتك المستقبلية بشكل كامل، لقد كانت ليندا أحد ملايين النماذج التي أثبتت ذلك، فلتكن أنت النموذج التالي، حتى ولو لم تمر بك محنة أو مصيبة، فلتشكل المحنة مفهوم كل ما لم تبلغه من طموحك، أو أي أمرِ سيء آخر، فعلينا أن لا ننتظر المحنة كي نتغير، بل لنصنع من كل شئ غير راضيين عنه في حياتنا سببًا ودافعًا إلى أن نتغير للأفضل، وكما استغنت ليندا عن وصفة الطبيب لعلاجها، فلنستغني عن انتظارنا للدوافع والأسباب التي تجعلنا نحظى بمستقبل مشرق.

استعد همتك ونشاطك

إن مقارنة حالة نيك الجسدية والنجاح الذي استطاع أن يحققه، ماهي إلا دليل على أن هناك معجزات انسانية على وجه الأرض، وأن المستحيل ليس سوى الاسم الذي أطلقه الناس على ما يشعرون تجاهه بالعجز، لكنه في الحقيقة لا وجود للمستحيلات في حياة لا حدود لها، كل ما علينا أن نعرف الطريق الذي يجب أن نسير فيه، والغرض من وراء وجودنا به، وماذا نستطيع أن نقدم للمجتمع الذي نعيش فيه، لأننا حين يؤدي كل منا دوره، تعمل الجهود البشرية كلها بشكل متكامل، إن ما حققه نيك وغيره من متحدي الإعاقة، من الأسماء التي ذكرناها منذ البداية دليل على أن المجتمع ليس بحاجة إلا لتضافر جهود مجموع ما يعيش عليه من بشر مؤمن بالأمل وحالمًا بالتغيير الدائم إلى الأفضل، ورافضًا كل الرفض للسكون ولو أصابته أفظع كارثة قد يمر بها أحد، فالتفاؤل صفة يكتسبها المرء رُغمًا عن كل ما يحيط به من ظروف، والتشاؤم هو الصفة التي تأتي من استسلامه لتلك الظروف، ولينظر كل منا

حوله جيدًا، ويبحث عن شخص واحد ناجح فيمن يعرفهم يشعر بالتشاؤم، قد يحزن الناجح لفترة لكن مزاجه العام دائمًا في حالة تفاؤول، وإن لم نكن نعرف أحدًا ناجحًا فجديرٌ بنا أن لا نبحث عن شخص، بل علينا أن نسأل أنفسنا "لما لا أكون أول شخص ناجح أعرفه؟!" فنصنع من أسوأ الأمور التي تمر بنا أفضل النتائج، وهذا ما قصده ويليام جيمس من أن تغيير المواقف هي تغيير الحياة، ولتكن ردود أفعالنا مجرد مفاتيح نضغط على ما نشاء منها لنعش ما نريد، ولنفعل ذلك علينا بعض الأمور الصغيرة التي يمكننا جميعً أن نفعلها، مثل أن نحافظ على أن لا نتخذ قرارفي حالة الغضب، أو تحت ضغط، علينا أولاً قراءة تلك المشاعر التي نعاني منها جيدًا وندرك السبب والغاية من ورائها، فلا عجب أن تؤخر زراعة الأرض حتى تمر العاصفة، فسيكون أدائك أكثر جودة، في بيئة مناسبة، كما أنك لن تترك بعضًا ولو قليل تذهب به الرياح بلا رجعة، وانتبهوا جيدًا لقيمة الوقت فلا تدعوه يمروا دون محاولة الصعود إلى مكانة أعلى مما أنتم عليه، فهناك دائمًا أمور تستطيع أن تحلم بها حتى ولو كنت أهم شخص على الأرض، ولكنك مازلت

حيًا، فلتعرف أنك لا زلت حيًا لهدف، ولتبحث عن ماهيته لتبدأ في تحقيقه، ولا تجعل شيئًا يقنعك بأنك وصلت إلى النهاية، فلا وجود لنهاية إلا مع انتهاء الحياة، ولاتدع الأفكار المظلمة أو المشاعر السلبية، تسيطر على حياتنا، بل لتجعل ردود أفعالك تغيرها، وحين تمر بموقف صعبة، أو محنة، أو ما هوا أشد من ذلك وأكثر قسوة، عليك أن تتذكر أن أمامك خياران، الخيار الذي يأتي أولاً عند معظم الناس هو السلبية، إلا إذا كان ذلك الشخص ناجح بالفعل، والخيار الثاني هو الإيجابية

الخيار الأول للنجاح "الإيجابية"

أن تنظر إلى ما هو أسوأ من ذلك مما مر بك أو بغيرك وتقول لنفسك أن ذلك الموقف سيمر، وتفكر فيما يجب عليك فعله ولا تترك نفسك للأزمة تعيش عمرها بأيامك، بل قم بخلق الحياة التي التي تريد "فالحياة لا تقيم في منازل الأمس" كما قال جبران خليل جبران، ولا تنظر إلى ما ينقصك، وفكر جيدًا فيما تستطيع أن تفعله بما تملكه، وتمسك بالأمل في حياة أفضل، وأن تؤمن بأن الحياة لا تغلق بابًا إلا بعد أن تفتح غيره.

الخيار الثاني للفشل
"السلبيـــــة"

أن تفكر في أنك لن تستطيع أبدًا الخروج من تلك المحنة، ولن يأت اليوم التي تتخطاها فيه، فلن يؤدي ذلك إلى أن تسوء الأمور أكثر فأكثر، فحين تكون تلك المحنة على سبيل المثال تتعلق بفقدنا لوظيفة جيدة، ستجعلنا السلبية ندرك أننا لن نتمكن ذات يوم من أن نحصل على وظيفة مماثلة، ثم نستسلم لتلك الفكرة، ونصبح نقبل ما هو أقل منها بكثير، أو أن نفكر في أن ذلك هو أصعب ما مررنا به، فتلك السلبية في التفكير لن تجعلك ترى أصعب مما أنت فيه الان وأنه أمرٌ، لا يستطيع أحدًا ان يتخطاها، وأن ما حدث أغلق الباب الوحيد الموجود للحياة، فلا يوجد بها غيره.

ليختر كل امرء منا ما يريده، فهو الآن يدرك نتائج الخيارات

المتاحة أمامه، وليعرف قبل أن يختارأن اختياره لن يؤثر عليه فقط، بل سيؤثر على من حوله، فليكن تأثيرنا في المجتمع إيجابيًا لا سلبيًا، فالإيجابية بمثابة إضاءة شمعة تستطيع أن تصير نجمًا يهتدي به الناس من بعده، أو يكون سلبيًا فيطفأ شمعة، يعتم به طريقه وطريق السائرين من بعده.

حسن وسوء الحظ

إن حقيقة التعبير الذي يتداوله الناس كثيرًا، لوصف حالات النجاح والفشل، لا وجود له مثله مثل كلمتي «الصدفة»، «المستحيل» فغالبًا ما نصف النجاح بالحظ أو التوفيق، إن وجود حسن الحظ أو التوفيق، يعتمد في المقام الأول على إرادة وتصميم كل شخص في تحقيق ما يحلم بها، فهناك من يسعى، ومن يركض، ومن يطارد أحلامه، لابد أن يصل الراكض قبل الساعي، وبعد المطارد، لأنه يبذل مجهودًا أكثر ولا يدع لحظة تمر عليه وهو في حالة من السكون أو الخمول، وحين يسير شخصان نحو نفس الهدف، يوصف الذي يصل أولاً، بأنه محظوظ، إنه هو من خلق ذلك الحظ الجيد، فهو الذي أهلَّ نفسه للفرصة التي لم تأتي، لأنه يدرك تمامًا أنه طالما على تصميمه في نيلها فسيحصل عليها قريبًا أو بعد فترة من الوقت، لذا فهو دائمًا يستعد لما يريد أن يكونه، وكلما حقق حلمًا أو هدفًا، بدا له في الأفق حلمًا آخرًا أفضل مما حققه، ويظل على ذلك حتى آخر

نفس في حياته، أما من يستسلم، ويؤمن بأنه سيء الحظ ولن ينعم بحياة يقدرها المجتمع ذات يوم، فهو لم يستعد لأن يكون ذو قيمة حقيقية، لاشك أن الحياة صعبة وقاسية، ولكن هل هذا مبررًا للاستسلام لها، أم دافعًا للتغلب عليها وقهرها، من هنا يأتي حسن وسوء الحظ، إذا كان ذلك يحدث في أمور مثل الفرص المتاحة أمام الشخص المحظوظ وسيء الحظ، فإليكم قصة «نشاكي» أحد أصدقاء نيك الذي أُصيب بورم خبيث في القلب، ولم يعالجه عند بدايته، وتركه إلى أن تمكن الأمر منه، وقال له الأطباء، أن الورم تخلل في خلايا حيوية بجسده لا يستطيعون استئصاله لأن ذلك سيؤدي للوفاة، ونصحوه بأن يحاول أن يكون سعيدًا فيما تبقى له من شهور معدودة من حياته. شخص في مكان تشاكي، وقد أخبره الأطباء بأنه سيموت عما قريب، كان يمكنه أن يفكر في أن ينفق ما ادخره من أموال ويتمتع بها قبل رحيله، أو أن يفكر في أكثر الأمور جنون ويفعله بنفسه، أو ألا ينتظر الموت ليأتي ويذهب هو إليه، ربما كان ذلك أول ما دار بخلد تشاكي بعد سماعه لما قاله الأطباء، إلا أن صداقته لنيك

علمته الكثير، وألهمته بأن يفكر في أنه سيحيا أبدًا وعليه أن يعد حياته لذلك، ليصبح كل يوم أفضل مما قبله، لكنه تمسك بالحياة، وتخلى عن العادات التي من شأنها أن تجعل الورم أكثر خطورة، فعاش لست سنوات يحقق في الهدف تلو الآخر، وإذ بالطب الحديث يكتشف علاجًا لحالته دون إجراء عملية، سيصفه الجميع بالحظ، لأنهم لا يشعروا بالمواقف والتحديات التي مر بها تشاكي، ولو أنه محظوظًا فلما أصيب بهذا الورم منذ البداية، إن ذلك دليل قاطع لا على المستوى العملي أو على المستوى الأفكار، لقد قهر تشاكي بإيمانه بالإيجابية الحقائق العلمية التي بدت مستحيلة في وقت من الأوقات، إلا أن تشاكي تعلم من تجارب صديقه أن لا وجود للمستحيل، ولندرك أن تلك هي نظرة كل أصحاب الإنجازات من قديم الأزل، لأن الأهرامات، وسور الصين العظيم، وعجائب الدنيا السبع، لم تكن لتحدث، لو أن من فكر بفعلها رأى استحالتها، لا إمكانيتها، فليختر كل منا ما يشاء من مواقف وردود أفعال تجاه ما يمر بنا، ولتنحصر خيارات من يريد النجاح، في الشكر لما مربه من محن، أو مواقف

صعبة لأنها جعلته يدرك ما يتوجب عليه القيام به، كما فعل ذلك كل النماذج التي ذكرناها، مثل ليندا وتشاكي، ألا يريد كل امرئ منا أن يصبح قدوة يحتذي به الآخرين، أو خيار الفاشلين والشعور باللأسف على النفس، والحزن على مافقدوه أو على ما لا يمتلكوه.

إن نموذج نجاح نيك وقصة شهرته تكمن في أنه لم يكن أمامه شخص آخر يعرفه خُلق بمثل حالته الجسدية واستطاع أن يُحدث فرقًا على مستوى العالم مثلما فعل هو، ولننظر إلى دور القراءة في تغيير وجهة نظر نيك عن الحياة، فقد كانت كتب جوني إيريكسن تادا، التي أحضرتها له والدته التي لم يزل يقرأها حتى الآن لها أثرها في حياته، فالقراءة تجعلنا نرى حياة الآخرين، ونتعلم من تجاربهم، وفضلاً عن المجال الذي نقرأ فيه، سنستفيد بشكل كبير مما نقرأه، حتى ولو لم يعجبنا لأننا سنتعلم منه ما نحبه ونعجب به، وكما تحدثنا عن النظر بعمق إلى ما يجري حولنا، علينا أن نتبع ذلك بالقراءة لنعرف عصارة تفكير الآخرين، وندرك الخيارات التي أُتيحت لشخصية كاتب

ما نقرأه، فالقراءة، هي أول أمر يهتمون به في المدارس، ثم نستفيد منها بعد ذلك في العلوم والتخصصات المختلفة، يجب أن نحافظ على رمزية القراءة، فهي التي ستلهمنا أن ننظر إلى الأمور بزاوية أكثرعمقًا، فهي تعلمك أن تنتقي ماتسمعه من أغنيات، حتى مايبقى في رأسك من موسيقى ومن كلمات، إن قراءة الكتب، تُمكننا جميعًا من امتلاك زاوية أفضل للرؤية، فلنفكر وكأن الدنيا دار عرض لأحد الأفلام، ولنأخذ الزاوية التي تمكننا من أن نعيش كل لحظة من مشاهد حياتنا ونستغلها بكل ما نملك من قوة، بل لأكثر من ذلك لنخلف ظن كل من رأى أن هناك أمور مستحيلة ونثبت له العكس، ولن يحدث ذلك إلا إذا أدركنا أن بإمكاننا فعل كل شيء، وليكن ذلك هو نور الأفكار المظلمة، والدفء الذي يمنع المشاعر السلبية من التحكم في قلوبنا. كانت قراءة نيك لكتب جوني، وسماعه لأغانيه، حيث أنه رأى فيها أحد الجوانب الإيجابية التي يستطيع أن يستفيد منها في حياتها، فلقد استطاعت جوني أن تحقق ما تريده رغم تعرضها في صغرها لحادثة أودت إلى شلل جسدها

بالكامل ولم تعد تستطيع أن تحرك سوى رقبتها، لقد استفاد من كتبها، لأنها ذكرت ما يمر به المرء من أفكار سلبية في بداية تعرضه للحادث، فقد تحدثت عن تفكيرها في الانتحار في بداية الأمر، إلا أنها تخطت كل ذلك واستطاعت أن تخرج من تلك الحادثة أقوى من ذي قبل، لأنها جعلتها تفكر جيدًا في مستقبلها وتنظر بشكل أعمق إلى ما وراء الأحداث، وأن لا تأخذ الأمور بسطحية، وأن تمضي قدمًا دون أن يعوقها شيء، قد يبدو ذلك صعبًا في البداية ولكن هذه طبيعة البداية فدائمًا ما تكون صعبة، لأنك إن استسلمت للقيام بالأمور السهلة، فإنك لم تعرف ما تتميز به، إن على المرء أن يدرك قيمة نفسه، وقيمة ما يجب أن يكونه، فتحقيق الأهداف تجعلنا ننفذ ما خلقنا الله من أجله، ويجمع ذلك بين خيري الدنيا والآخرة. إن واجب الوالد تجاه ولده أن يعلمه وينِشئه نشأة سوية، وأن يعطيه ما يلزمه ليكتشف الفرق بين الصواب والخطأ في بعض الأمور بنفسه، لأننا لن نجد ولدًا نسخة من أبيه، بل يختلف معه بعد ذلك في القناعات والمسلمات التي تربى ونشأ عليها، فقد كبر وخرج من المنزل،



وعاشر أناس آخرين، وتعلم من التجربة والاحتكاك بالآخرين أمور لم يعلمها له والده، كما نجد بالأعمال الدرامية قصص الشباب الذين لا يقبلون أعمال آبائهم ويختاروا لهم طريقًا آخر والصراعات التي تأتي نتيجة ذلك، لكنه يخرج ليحقق ما يريده، إنها ليست أفكارًا من نسج خيال المؤلف، لقد استلهمها المؤلف مما رأه وعاشه. والنصيحة هنا هي أن معرفة ما نريده هي أولى الخطوات التي تؤهلنا لأن نحققه.

عـــدم الشعـــور بالآسف تجاه أنفسنا

حين يتعرض أحد منا إلى موقف صعب أو حادث مرعب. يكون الانطباع الأول لدى النسبة العظمى منا هو الشعور بالآسف تجاه النفس، لأننا في هذه اللحظة تنصرف رؤيتنا إلى أنفسنا فقط ولا نستطيع أن نتذكر في مثل تلك اللحظات أن هناك من يمر بها هو أصعب من ذلك بمراحل، بل ينعكس تفكيرنا على أنفسنا و شعورنا أيضًا ونفكر في كيف سنعيش بعد ذلك، وتبدأ الأفكار السوداء بالتكاثر في رؤوسنا، هذا شعور طبيعي، فلقد كان ذلك الانطباع الأول الذي فكر به نيك وكل النماذج التي ذكرناها من قبل لكنهم غيروا من موقفهم تجاه تلك الحوادث التي مروا بها، وبدلاً من أن يستسلموا للغرق في الذاتية، والانغلاق عن المجتمع المحيط، قرروا أن يخرجوا من تلك الحالة، وهم يعرفون أنهم سيواجهون صعوبات جمة، لكن بمجرد أن يبدأ المرء في التغلب على أول صعوبة تواجهه

تختلف رؤيته للحياة بشكل عام ولحياته على وجه الخصوص. ولنستعرض قصة أولى الصعوبات التي واجهت نيك وتحول إلى اتخاذ موقف مغاير تمامًا على مستوى التفكير والشعور، لقد مر نيك بالانطباع الأول تجاه مأساته، وفكر في الانتحار، لأنه لم يجد نفسه سوى عبئًا على المجتمع المحيط به، ولم يكن من السهل عليه أن يدرك أنه جلب الحزن لعائلته بمولده، وأن والدته رفضت أن تحمله وهو فتى صغير، لكنه حين قرر الخروج من حالة التمحور الذاتي في التفكير، وتعايش مع الآخرين، أدرك ما يجب عليه أن يفعله وبات لديه ما يشغله عن ذلك التفكير، ولم يعد يشعر بأنه هو الوحيد الذي يعاني من فكرة عدم تقبل الذات، فهناك الكثير من الأصحاء ممن هم أكثر منه شقاءً بحياتهم، مما أعطاه الدافع على النجاح، وانتبه إلى أصغر تفاصيل حياته، وأدرك دلالات تلك التفاصيل على المدى البعيد، وربما نجد نيك يستهل كثيرًا في سرد الأمور الصغيرة في حياتها إلا أن ذلك لأنه يشعر بالمعنى الحقيقي الذي أورثته إياه تلك التفاصيل الحياتية الصغيرة، ومن بين تلك القصص، قصة الفتاة الصغيرة التي لم يتعدى عمرها العامين ونصف العام من العمر،

التي ظلت تنظر إليه في أحد الحفلات، ولكنها كانت تشعر بشعور غريب تجاهه، مما جعلها تحافظ على المسافة التي بينها وبينه، ولا تقترب منه أبدًا، ولكنها كانت دائمة النظر إليه، وكأنها تبحث عن أطرافه، وتفكر في طريقة عناقه للآخرين، وحين انتهت الحفلة وهم عائلة الطفلة بالرحيل، كان نيك يشعر برغبة شديدة في أن يعانق تلك الفتاة الصغيرة، فلقد كانت تنظر إليه بنظرة تثير فيه الكثير من الأسئلة، مثل أن يسأل نفسه" ترى فيما تفكر تلك الفتاة الصغيرة وهي تنظر إليّ الآن؟" لم يكبت نيك رغبته في عناق تلك الطفلة، فهي لم تزل طفلة صغيرة، ولا خجل في أن يطلب من والديها أن يسمحا له بذلك، بالفعل أعرب نيك عن رغبته لوالد تلك الفتاة، فعانقته تلك الطفلة، لكن طريقة عناقها له كانت أكثر غرابة من نظرتها إليه، فلقد ضمت تلك الطفلة ذراعيها وراء ظهرها وكان عناقها له بأن وضعت رأسها على كتف نيك، لقد فعلت تلك الطفلة ما رأت نيك يفعله عند معانقته للآخرين، ولم يكن نيك يستطيع أن يضع يديه حول ظهر أو على كتف من يعانقه، فاتخذت عناق نيك، وسيلة جديدة للعناق، وأثار عناقها بداخله تساؤلات أكثر من

تلك التي أثارته نظرتها. هذه إذًا هي أحد الأمور التي قد لا ننتبه إليها، وربما حزن نيك من قلبه، لو أن عناق تلك الطفلة له، جاء في وقت شعوره بالآسف تجاه نفسه، لم يكن ليفكر في أنه استطاع أن يؤثر في تلك الطفلة، لينمو عنها محاولة الشعور بما يشعره الآخرين، ولقرأ طريقة نظرتها إليه على أنها نظرة شفقة، لأنه في حالة يرثى لها، أو ربما ترك الحفلة إثر نظرتها إليه، ولما عاش لحظة العناق التي قد لا تأتي مرة أخرى في حياته، وأدرك حينئذ أن الحزن يمنع المرء من الاستمتاع بما نعيشه من لحظات، لأن التفكير الإيجابي والأفكار المستنيرة تخلق طريقة خاصة للاستمتاع بأشد لحظات الحياة قسوة، وكأن تلك الطفلة داوت أكبر جراحه بذلك العناق، الذي لم يكن ليأتي لو نظر نيك إلى الأمر من الجانب السلبي. وهناك قصة "جابي" أيضًا، وهو أحد أصدقاء نيك، وقد ولد بحالة جسدية قريبة من حالة نيك، فقد كانت أطرافه الأربعة لا يتجاوز طول أحدها عن ثلاثة إنشات، ولايوجد بأصابعة أية عظام، ولكنه لم يزل متمسك بالأمل ويفعل الأمور التي يظن الجميع أنه لن يتمكن من فعلها ذات يوم من الأيام، فإلى جانب حصول "جابي" على الوظيفة

التي يؤمن له الدرجة الكافية من عيش حياة كريمة، إلا أنه كان يريد أن يمارس الرياضات التي يمارسها الأصحاء، فقلد خلقه الله عاجزًا عن الحركة، لكنه يكره السكون أشد الكره، استطاع جابي بالأمل وعدم الاستسلام للسلبية أن يمارس رياضات عديدة، بل ويتميز فيها، فهو يمارس كرة السلة، والبيسبول، والهوكي والوثب، والعجيب أنه بدأ يلعب في أحد الأندية الاتحادية قبل أن يبلغ السابعة من العمر، فكان من الطبيعي أن يكون من أحد النماذج القائدة وهو لم يزل طالب بالجامعة، ذو مكانة في المجتمع المحيط به، يعرفه الجميع، لأنه استطاع أن يتغلب على الصعوبات التي يمر بها ويواجهة كافة التحديات، ويزيل العقبات التي قد تعوقه عن أن يصبح كما يريد، وقد أكد عليه جميع من حوله أن ينشأ موقعًا على شبكة الإنترنت ليستفيد الآخرون من تجربته ففعل ذلك، وحين ننظر إلى بإيجابية إلى ما يدور حولنا من أحداث، تتضافر كافة الجهود لتجعلنا أفضل، وحتى حين ننظر إليها بسلبية، تكون تلك الفكرة موجودة، فمن ينظر إلى الحياة بسلبية يجد الكثير من أصدقائه وأفراد عائلته يلحون عليه للخروج من تلك الحالة، لكن نظرته السلبية

إلى الأمور هي التي تقنعه بأنه لن يستطيع أن يتجاوز ما يواجهه من صعوبات، لأنه مستغرق في الشعور بالآسف على نفسه، وحين يمر أحد منا بمثل هذه الحالة فعليه أن يغير من نظرته إلى ما يمر به من أحداث، وسيجد ما يلهه إلى حياة أفضل إذا بدأ فعلاً التخلص من تلك الحالة، وإن لم يجد ما يريد أن يفعله لنفسه فليفكر فيمن يحبهم، سيجد أنه يريد أن يفعل الكثير من أجلهم، وليقتنع بأنه يستطيع تحقيق النجاح الشخصي، وأن يؤثر في إنجاح محاولات الآخرين من حوله في تحقيق أحلامهم.

تخلص من إلقاء اللوم على غيرك

عادة ما يجعلنا إلقاء اللوم على غيرنا نشعر بالراحة تجاه الأهداف التي نعجز عن تحقيقها، وتجعلنا نتعايش مع تلك الحالة، ولنضرب مثلًا صغيراً، هب أن لك صديق في الجامعة يسألك لم لا تجتهد ليكون مجموع درجاتك أفضل من السنة الماضية؟ وللإجابة على مثل ذلك السؤال، ستدور برأسك الكثير من الردود، لكنك حالما تقول له أنك لم يكن لك ذنب في ذلك، فقد فعلت أقصى ما يمكنك أن تفعله، فلن يكون هناك ما يتعين عليك فعله في السنة القادمة لتحصل على درجات أفضل، وحين تعاني من الفشل في السنة القادمة ستجد ما يشعرك بالراحة تجاه ذلك، لكن ماذا لو رد عليك من سألك، بأنه لا يوجد شيء على الأرض يستطيع أن يمنعك عن تحقيق ما تحلم به أو تتمناه، ماذا سيكون ردك عليه، هل ستقول له لأن الله قد خلقك أقل ممن حولك ذكاءً، وإن دار ذلك بخلدك بالفعل فهل تقتنع أنت بذلك.

إن الشعور بأنك لا حول لك ولا قوة في ما يحدث لك لأكثر الأمور ضررًا على حياتك ومستقبلك، بل ومستقبل من تعول أيضًا، لأنك ستترك فيهم تأثيرًا بالشعور الدائم بالعجز، ولن تتمكن من أن تصلح شؤون من تحب لأنك في الحقيقة عاجز عن أن تصلح من شؤون نفسك، وستجعلك حالة العجز التي تشعر بها سريع الغضب ومزاجك العام هو الاستياء، لأنك تنتظر أن تتحسن أحوالك دون أن تتدخل لتحسينها، فلو أن نيك ظل على نظرته أنه ضحية، والتساؤل في لما لم يخلقه الله خلقًا طبيعيًا، وترك الأمور تسوء أكثر ظنًا منه أنه لا يستطيع أن يفعل شيء، سيكون نيك بالنظر إلى حالته الجسدية، يكون وصفنا الأول له أنه شخص عاجز، لكن حين نعرف أنه تخلى عن شعورها باضطهاد الخالق له، وأن الله لم يحبه فخلقه هكذا، وندرك ما حققه على المستوى الشخصي وأثره في المجتمع المحيط به، ستتغير نظرتنا إليه، لأن نجاحه حينئذ سيكون خلفية لكل ما نفكر به، هذا لأنه أصبح هو المتحكم في نظرة الآخرين إليه، ووجد القيمة التي يجب عليه أن يسعى لأن يمنحها لحياته وقد فعل، لقد زار نيك أكثر مناطق العالم فقرًا،

ووجد عدد كبير من الناس يعانون من الحاجة إلى الاحتياجات الأساسية للوجود مثل المأكل، فلقد مر بالكثير من الدول التي تعاني من المجاعات، ورأى أنه أفضل حالاً من الكثير من الأصحاء من البشر، وقال في نفسه إن لكل منا امتحان على وجه الآرض وعليه أن ينجح فيه، فكل يمر بالمشاكل وتواجهه المصاعب، ومن يخط اسمه تحت الراية الاستسلام يجب أن يعرف أنه يخط اسمه على الماء وسيزول ذلك الاسم بعد لحظات قليله، فيما يبقى هو يعيش بين أمواه وأمواج ذلك البحر الذي اختار لنفسه عدم الخروج منه، لمجرد أنه يظن أنه لن يستطيع الخروج منه، وليس له في الأمر يد، لكنه ل م ينظر إلى هؤلاء السابحين الذين خرجوا من ذلك البحر واستقروا على الشاطئ واستطاعوا أن يعمروا حياة كاملة هناك فيما ظل هو تتقاذفه الأمواج لا يعرف أين تذهب به الدنيا في اللحظة التالية، في حين أنه يستطيع اختيار الطريق الذي يحبه ويريده، و لا تجعل الغضب يحرك عواطفك، ولتعرف أن كافة الأبحاث الطبية والعلمية أثبتت أن الشخص الغاضب أكثر تعرضًا للأمراض النفسية والجسدية، ولا تدع لوم الآخرين يصرفك عن مسئوليتك

تجاه نفسك، فلقد حرر التخلص من ذلك الشعور الكثير من الأشخاص لخلق حياة أفضل، وكما سمح نيك الظروف الصحية التي خلق بها، وتصالح مع نفسه ومع الدنيا، ووضع مسئولية رسم مستقبله والتخطيط لحياته على عاتقه، لا على الظروف والأوضاع، كما لم ينتظر شخصًا آخر ليحقق له ما يريد، فالتصالح مع النفس هي حالة أشبه بالشفاء من أكثر الأمراض ضررًا على الصحة النفسية والجسدية، ولو كانت تجربة نجاح نيك لا تلهمك بذلك، فلتأخذ من تجربة نيلسون ما نديلا، ذلك السياسي المناهض لنظام الفصل العنصري جنوب أفريقيا، الذي تصالح مع نفسه لينهض بأمة بالكامل، وتصالح مع من سجنوه سبع وعشرون عامًا، ليصبح على رأس السلطة في الدولة التي اضطهدته لأعوام طويلة، لكن إرادته وتصميمه جعلته يصل إلى ما رأه الجميع على أنه مستحيل في ذلك الوقت، والسؤال الهام هنا هو هل سبق أن تعرضت لظرف مثل ظروف نيلسون؟ إن كانت إجابتك بلا، فلتبلغ إلى أعلى مما بلغ إليه نيلسون، لأنه لم يكن سوى إنسان آمن بقيمة نفسه من كل قلبه، وظل يسعى للحصول عليها، برغم وقوف الدنيا كلها ضده وقد

خرج من تجربته بالكثير من الحكم، مثل قوله "إن الشجاع ليس من يدرك مخاوفه بل من يتغلب عليها" فمخاوف الفرد تتحول إلى نعمة حين يحاول التغلب عليها ولا يستسلم لها أبدًا فلا بدعها تكسب الحرب، قد تنتصرعليه في معركة أو معركتين أو أكثر من ذلك، لكنه يجب أن يكون هو المنتصر في النهاية، ولا يدع شيئًا يؤثر على ملاحقته لحلمه وتحقيق مراده، فجميعنا يعرف الحكمة التي تقول "لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس" فاليأس لا يجتمع مع الحياة بل يستحوذ عليها ويأسرها، فلا تتركوا لليأس حيواتكم وتستلموا له، شاعرين بالراحة في أن تلقوا اللوم على غيركم

مواجهة المخاوف

كان نيك بلا أطراف لكنه لم يكن يخشى أن يواجه أية مخاوف، فلقد واجه كل الأمور التي كان يخشاها إلى أن لم تعد له أية مخاوف، لأنه أدرك أنه إذا ظل يعيش بمخاوفه، فسوف يعيقه ذلك عن التقدم في أي مجال من المجالات، فلقد رأى الكثير ممن حوله، وظن أنه أسوأ منه حالاً، ولم يسأل نفسه قبل كل خطوة في حياته "ماذا لو؟" فحين يتقدم الرجل لوظيفة من الوظائف يفكر في أنه ربما لن يستطيع أن يجتاز المقابلة الخاصة بها، ويسأل نفسه كثيرًا "ماذا لو؟" ويتصاعد خوفه إلى الدرجة الأشد خطورة من ذلك ويمنعه عن الذهاب إلى المقابلة، لكنه لو ذهب إلى المقابلة لقهر ذلك الخوف، لوجد إجابة للأسئلة التي تدور برأسه، حتى ولم تسر الأمور معه على مايرام في المقابلة، حتى ولو لم يقبل بالوظيفة، فلاشك أنه سيعرف ما يلزمه ليليق بوظيفة مماثلة، لأنه تحرك ولم يجعله الخوف من النتائج التوقف عن التجارب، أو حين يتسائل شخص ناجح

في عمله عن ماذا لو لم يستطيع الاستمرار في النجاح؟ إن مثل ذلك التسائل إن لم يكن دافعًا ليجعله يفكر في وسائل أكثر إبداعًا من الطرق القديمة، سيجعله يتأخر على مستقبله في كل لحظة تراجع فيها عن اتخاذ قرار بسبب أنه ظل متخوفًا من نتائجه، فليفعل ما يراه صائبًا وليدرك جيدًا أن أمله في أن يحول قراره الأمور إلى أن تصبح أحسن حالاً، فتلك هي دوافع نيك التي جعلته يتمتع بحياة أفضل، فقد كان خوفه من الحصول على وظيفة هو الحافز الذي دفعه إلى أن يصبح ما هو عليه الآن، فلقد كان يخشى أن يصبح عالة على أخيه الأصغر، وكان عليه أن يفكر في مستقبله، دون أن يمنعه سوء الظن بالحياة، لقد جعله ذلك الخوف يفكر في الاعتماد على نفسه من الآن، ليصبح أكثر فائدة لغيره في المستقبل، فقد كانت أعظم مخاوفه هو الأمر الذي جعل جميع أفراده يتمتعون بحياة أفضل، فلقد صمموا باب المنزل وكل أبواب الغرفة بأجهزة التحكم عن بعد، وكان نيك يستطيع استخدامها بإصبعي قدمه اليسرى الصغيرة، وكذلك أزرة صافرة الإنذار، وجهاز تأمين المنزل، لقد حول

خوف نيك أسلوب حياة العائلة بأكملها لتتمتع بقدر أكبر من الرفاهية خلال القيام بالأمور اليومية التي تأخذ الكثير من الوقت في حياة الفرد العادي، لقد كان نيك بمثابة الملهم لكل أفراد عائلته أولاً، ثم أصبح نموذجًا عالميًا يؤثر في عدد كبير من الناس من جميع دول العالم، لأنه استطاع أن يحول المشاعر السلبية إلى طاقة إيجابية، لأنه حارب مخاوفه وتغلب عليها من خلال العودة إلى الحياة الواقعية، وتعلم من تجارب الناجحين الذين أثبتوا لمن حولهم أن أكبر الأحلام في حياة الفرد تتحقق بمواجهته لأعظم مخاوفه، ولننظر إلى المخاوف التي تتعلق بأيام الطفولة، حيث كنا نخشي الذهاب إلى الأطباء، ولينظر المرء منا إلى ما صار إليه الأمر الآن، لقد أصبح يذهب إلى الأطباء الآن دون أن يرغمه أحد على ذلك، ووجد في أعظم مخاوفه أمرًا يحقق له الطمآنينة على صحته، فهذا هو الحال مع كل المخاوف التي نواجهه ثم نتغلب عليها، فقد تتحول تلك المخاوف إلى أعظم إنجازاته، وإن لم تكن ملموسة، فستؤدي به إلى اختبار أكبر معرفة قد يحصل عليها ذات يوم، لذا علينا أن

نكتب الآن أكثر الامور التي نخشاها، ونضع خطة لمواجهتها لا لنتركها هكذا معلقة طيلة عمرنا لأننا بذلك نسمح لها بأن تتغلب علينا وندعها تتحكم في مصائرنا، وكلما مررنا بمحنة أو أزمة علينا أن لا نصدق أن الاستسلام هو الحل الوحيد لمثل ما نمر به، لأنه ليس حلاً، ولتكن النماذج الناجحة دائمًا هي التي أمام أعيننا.

السقوط يستدعي النهوض

هناك مثلٌ ياباني شهير يقول "إن السقوط لسبعة مرات يجب أن تصاحبه ثماني مرات من النهوض" لأن الشخص الذي سقط كان واقفًا قبل أن يسقط ثم يقف بعد كل سقطة، هذا إذًا هو كل ما يتطلبه الأمر، أن نتذكر حين نفشل في محاولتنا في الحصول على شئ ما علينا أن نحاول مرة أخرى للحصول عليه، وإذا سقطنا للمرة الثانية، والثالثة، وأن نظل نحاول إلى حين نستطيع النهوض والسير بالطريق الذي نريده لأنفسنا، ولن يتكمن من لا يتمتع بالثقة في نفسه، ويؤمن بأنه لا وجود للمستحيلات في حياته، لأنه من الطبيعي أن يواجه كل شخص منا الشعور بالفشل في بعض الأوقات لكن ليكن ذلك السقوط أو الفشل هو الدافع إلى التصميم على نيل ما نريد وأن نبتسم في وجه تلك الصعوبات التي تقابلنا ونقبل تحديها بصدر رحب، لأن الحياة لا يوجد بها ما يسمى الفرضة الأخيرة وطالما لميزل المرء على قيد الحياة فلا زالت الفرص متاحة أمامه، فالشخص الناجح هو الذي ينظر إلى العقبات التي

تواجهه والأخطاء التي ارتكبها على أنها ليست إلا بعض التجارب التي جاءت من أجل أن تعلمه الكثير مما لم يسمع عنه، وانظر إلى كل النماذج النا جحين ستجد أن لهم فترات سقوط ولكن تلك السقطات كانت هي السبب الأول في نجاحهم لأنهم تعلموا منها جيدًا، ودرسوا السبب وراء حدوثها، ولم يدعوها تمر هكذا دون قراءة الدلالات التي تضمنت عليها، وكما قال تشرشل "إن النجاح هو قدرة المرء على المرور بحالات الفشل واحدة تلو الأخرى دون أن يفقفد حماسته ونشاطه" فحين يحاول أي شخص أن يقوم بأي شئ دون أن يستطيع فعليه أن يتذكر ما قاله تشرشل عن النجاح، وكما فشل نيك في بداية الأمر في الوقوف على رأسه وحاولت أمه أن تساعده بوضع الوسادة، إلا أنه رفض إلا أن يفعل ذلك، وظل يحاول إلى أن نجح في القيام بذلك، لتكن كل الأهداف التي تحققها هي كمحاولة نيك في النهوض أو الوقوف على رأسه وكلما تفشل فيه كلما زدت إصرارًا على تحقيقه. كان حلم نيك أن يصبح شخصًا صالحًا ليس أكثر أو أقل، وأراد أن تعرف الدنيا بقصة تحدياته للصعوب التي واجهته، وقد فعل ذلك، وإن بدا لك ذلك

الأمر سهل فلتجرب أن تقف على رأسك دون استخدام يديك أو قدميك، وستعرف مدى صعوابة ما واجهه نيك، وحين تقارن ذلك بما يواجهك من عقبات ستراها هينة، وإن كان ما حققه نيك من نجاحات لم يبدو لك كافيًا، فلتعرف أنه بينما كان لا يستطيع السير أو الإمساك بأي شيء، وتوقع أن يحيا دون أن يشعر أحدًا بوجوده، إذ طالما أن شعر بأنه منبوذ ولا يرغب فيه أحد، وأنه حين يموت لن يشعر بغيابه أححدن ولو أن أحدًا شعر بذلك، سيرتاح لسماعه الخبر، لأنه يرى أن موت نيك سيكون راحة له ولمن حوله، كما فكر نيك تمامًا حين أراج أن ينتحر، إلا أنه صار نجمًا يلمع نجمه في مجال التنمية البشرية، يؤلف الكتب، ويكتب المقالات التي تساعد الناس في التغيير من نظرتهم للحياة، ويجعله يتمكنون في التحك في مستقبل حياتهم، وينبههم إلى ما قد يسهون عنه، ففي أحد خطاباته جلس نيك على الأرض حيث كان يتحدث في قاعة مدرجة، وكان جميع الموجودين يستطيعون رؤيته، ثم بدأ في سرد بعض التحديات التي تواجهه ثم حاول أن ينهض دون أن يتوقف عن الحديث، فقامت إحدى السيدات الموجودة بالقاعة لتساعدها

على النهوض، فشكرها، وأخبرها أنه يريد أن يفعل ذلك بنفسه لأن نهوضها دون مساعدةأحد جزءًا من الخطاب، وشاهد الحضور الطريقة التي ينهض بها نيك ووجدوه شاقة جدًا فهو يكافح لكي يعو إلى كرسيه لا ليفعل شيئًا يتطلب مجهود من معظم الحضور، ثم حدثهم نيك عن أنه ينهض هكذا دائمًا يرفض أن يساعده أحد لأنه يدرك أن ذلك هو أحد التحديات التي عليه هو بنفسه أن يواجهها، ولم يكن نيك ليترك شخصًا آخر يفعل ذلك بالنيابة عنه، ثم تطرق إلى أن هذه هي الحياة وليكن النجاح أمر صعب كنهوض نيك، ولكن علينا أن نكافح إلى أن نحقق ما نشاء، فقلا يوجد نجاح بلا كفاح، إلا النجاح المبهر البراق الذي سرعان ما يزول بريقه، إلا أن الحياة بلا حدود، ولا وجود لحياة مطلقة بلا أية حدود مع وجود ما نطلق عليه مستحيل، فلنحقق كل الأمور التي رأيناها مستحيلة، ولا نترك الأفكار السلبية تحد من قوتنا وطاقتنا، ولنعرف جيدًا أن النجاح يأتي بعد الفشل بعدة محاولات، وأن التجارب لا تأتي إلى من أشد وأقسى ما يمر به المرء من مواقف، ولينظر كل امرء منا إلى كل ما يمر به من فشل أو تراجع في حياته من أربع جهات وهي:

١-إن الفشل هو المعلم الحقيقي في الحياة

٢-أن الفشل يصنع التغيير الأعظم بشخصيتنا

٣-أن الفشل هو الدافع إلى التصميم على النجاح

٤-أن الفشل هو الذي يساعدنا في تقدير قيمة النجاح

أما بالنسبة للزاوية الأولى، وهي أن الفشل هو المعلم الحقيقي، لننظر إلى أي من المسابقات أو الرياضات التنافسية لنعي ذلك جيدًا، سنجد أن مقابل كل فائز يوجد شخص آخر خاسر، وأن البطل هو الذي صمم على تحقيق النجاح إلى النهاية، لأنه تعلم جيدًا من كل مرة خسر فيها، وجعلته الخسارة أكثر خبرة وتجربة ممن لم يسقط من قبل، لذا عليك أن تفعل كل ماعليك، وأن تأمل دائمًا في النجاح، ولكن عليك أن تضع احتمالاً ولو صغيرًا جدًا في الفشل، حتى لا تصاب بالإحباط، فذلك سيجعلك تفكر في النجاح، ومع استمرارك في المحاولة فلا شك في أن يأتي النجاح حين تكون مؤهلًا لتعيش نتائجه. كان آرون شقيق نيك يطوف به في الأحياء الفقيرة ليتحدث إلى هؤلاء الذين فقدوا الأمل في أن تتحسن ظروفهم، أو الذين يظنون أنهم لا يستطيعون أن يحققوا

ما يحلموا به، كانت تلك هي بداية نيك، إلى أن صار يأتيه الناس من كل صوب وجهة لكي يستطيعوا التغلب على ما يواجههم من تحديات، حتى وصل الأمر إلى أن أصبحت الشخصيات ذو الشأن في أميركا، مثل "جابي بوش" محافظ ولاية فلوريدا السابق يحضر ليستمع إلى ما يقوله نيك، أليس ذلك بنموذج لتحول الفشل إلى نجاح باهر، لنكن أحد تلك النماذج، ولنبدأ الآن السير تجاه أمانينا، واضعين في الاعتبار أن جميع الطرق التي تبدو مسدودة ستفتح بعد حين، وأن السبب في ظهور الجدار الذي يسد تلك الطرق، يخبئ لنا من الهدايا والنعم ما يفاجئنا، لذا يتطلب المزيد من الجهود والتعب حتى يعرب لنا عن ما يخبئه من هدايا ونعم.



الزاوية الثانية

" الفشل يغير من شخصياتنا"

بعد أن عرفنا أن الفشل هو المعلم الحقيقي، فلا شك أن نفهم الزاوية الثانية بشكلٍ أكثر سهولة ويسر، فحين نتلقى العلم من معلم حقيقيًا ليس أمرًا غريبًا أن يغير الفشل أو السقوط من شخصياتنا، فهي تجعلنا أقوى، أكثر حكمة وتركيزًا، وأكثر قدرة على الإبداع وابتكار طرق جديدة، وأكثر تصميمًا على تحقيق أحلامك، كما فعل نيك، إذ لم يقتصر الأمر بالنسبة له على النجاح على المستوى الاجتماعي، لننظر أيضًا إلى نجاحه المادي، فقد أسس أول شركة لإنتاج وتسويق الدراجات التي أطلقوا عليها «دراجات الهيبو» في عام ٢٠٠٦ بمشاركة عمه سام، لما له من خبرة في مجال الأعمال والسوق، ولم تكن الشركة ناجحة، ولم تجني أية أرباح لبعض من الوقت، إلأ أنها نجحت في النهاية، لأنهم نظروا إلى الفشل من الزوايا الأربعة التي ذكرناها، وراحوا يدرسون عدم الإقبال على

منتجهم، ويتعلمون طرقًا جديدة في التسويق، إلا أن تغلبوا على الخسارة نفسها، فهذا هو تفكير من لا يريد أن يكسب معركة في الحرب لتأمين حاجاته الأساسية بل هو تفكير من يريد أن يكسب الحرب بأكملها ليسيطر على تشكيل مستقبل حياته بالكامل، فنجاح شركة نيك وعمه لم يكن بالأمر الكامل في البداية، لأننا إذا قمنا بعمل شيء كامل، فكيف سنطوره، فالكامل لا يحتاج إلى تطوير، ولكن الكمال لا يسعه إلا أن يكون هدفًا دائم في الحياة، ولنضرب مثلًا بمن يسعى وراء تعلم اللغة الإنجليزية، ثم يحاول ويجتهد ويسقط ثم ينهض، ثم يتعلمها جيدًا، يتكلمها ويكتبها ويترجمها من وإلى لغته الأم بطلاقة، لقد حقق الكمال في جهة واحدة وهي اللغة التي تعلمها، لكنه بعد فترة يجد أن عليه أن يتعلم لغة أخرى معها لتتغير الفرصة المتاحة أمامه، وبعد أن يتعلم اللغة الثانية، وهكذا يظل يسعى وراء الكمال فيحقق منه جزءًا، لذا يتميز كل منا ببعض الصفات التي تختص به فقط من دون أي شخص آخر، وهو الأمر الذي يجعل لكل امرء زاويته الخاصة في رؤيته للحياة، وإذا سعى كل منا لتحقيق الجزء الخاص به من الكمال وتضافرت جهود البشرية

بأكملها واتحدوا ضد ظروف واختبارات الحياة فسيجدون الوجه الكامل للحياة، لذا لا يتعين علينا الاهتمام بإنجاح حياتنا فقط، بل يجب أن نهتم بإنجاح حياة الآخرين أيضًا، لكن حيواتنا لابد أن تأتي في المقام الأول، لأنك لن تستطيع أن تساعد أحدًا في حياته قبل أن تنجح في حياتك، حتى يستمع الآخرون إلى نصيحتك، ولتعرف أن النجاح قريب جدًا منك وأنك قد تصل إليه في أي لحظة، فالفاشل هو ذلك الشخص الذي لا يعرف أن اللحظة التي قد يستسلم فيها هي تلك اللحظة التي لم يتبقى فيها على النجاح سوى خطوة واحدة، لأننا لا نعرف ما ستؤول إليه الأمور بعد فترة قصيرة، ومن أقوال إديسون المأثورة» إن كل فشل يؤدي إلى التقدم خطوة في طريق النجاح» ولنؤمن أننا حين نفعل ما علينا أن الله سيتكفل بالبقية، لأن الإيمان بذلك سيجعلنا بقدر اكبر من الثقة في المستقبل، وستحررنا من القلق المؤذي، دون أن تحرمنا من القلق النافع، فالقلق نفسه نوعان، واحد يوحي بالاستمرار ومواجهة ما نقلق بشأنه ونستعد له، والآخرهو ذلك القلق الذي يجعلنا نخشى فعل أي شيء، ويقودنا إلى حالة من السكون، وذلك القلق هو ما

يؤدي إلى الفشل السلبي، الذي يغير من شخصياتنا إلى الأسوأ، لأن من يفكر في ذلك يشعر بعد فترة من الوقت بالاحتقار للذات، فلنتتبه إلى ما يحدثه السقوط أو الفشل من تغييرات في شخصياتنا، فإن وجدنا أنفسنا نتراجع عن أهدافنا فلنعرف أننا ننظر إلى الحياة من الزاوية للخطأ.

الزاوية الثالثة
" إن الفشل هو الدافع
وراء التصميم على النجاح"

- **نستطيع أن نتقبل الفشل على أساسين وهما:**

أن الفشل أو السقوط لم يكن لنا ذنب فيه، ونصاب بالإحباط وبخيبة الأمل ونستسلم له، والثاني هو أننا كنا جزءًا من أسباب ذلك الفشل وعلينا أن نصلح من أنفسنا، ونفكر في الأخطاء التي وقعنا فيها ونحاول أن نتلاشى تلك الأخطاء في المرة التالية، فنجعل من الفشل معلمٌ نتعلم منه، ونكتسب منه الخبرة، ونصبح أكثر قوة وتصميمًا على ما نريد، ولينظر من لايستطيع أن يصدق ذلك إلى شخص يعمل في أول يوم بمهنة تعتمد على العمل العضلي، نجده يكتسب كل يوم قوة أكثر في القيام بها، رغم أنه قد لا يتمكن في يومه الأول من إنجاز العمل المطلوب منه لأن الإجهاد منعه عن

ذلك، ماذا لو لم يذهب ذلك الشخص إلى العمل في اليوم التالي، سيعود جسده إلى التراخي والكسل، لكنه بعد أن يستمر في المحاولة لأسبوع أو لاثنين ينجح في إنجاز العمل، وربما مر البعض منا بمثل هذه التجارب، لذا يعرف معظمنا أن إرهاق وإجهاد العمل في اليوم الأول لا يقارن بإرهاق وإجهاد أي يوم آخر، فكلنا يقول "إن كل شيء في بدايته يكون صعب" فهذا هو الحال مع الفشل، عندما نفشل للمرة الأولى في حياتنا، تتغير حياتنا بالكامل بناءً على ردود أفعالنا تجاه ذلك الفشل، لأنك لو استسلمت للفشل في أول لقاء لك معه ستتعود أن تستسلم له في المرات التالية، وستنشأ عندك فكرة أن الفشل أكثر منك قوة، وأنك لا تستطيع أن تتغلب عليه، أما إذا لم تستسلم له وحاولت مرة أخرى ثم سقطت ونهضت ثم سرت على دربك، ستصير مسألة النهوض عندك استجابة آلية للسقوط، وستتمكن من التغلب على كل العقبات التي تواجهك فيما بعد في الحياة، وسيصبح الفشل دافعًا إلى استمرارية النجاح.

الزاوية الرابعة " الفشل هو الذي يجعلنا نقدر قيمة الناجح"

إن تلك الزاوية ليست غريبة على أحد، فكلنا يعرف أن التعب

هو الذي يشعرنا بقدر أكبر من السعادة حين نشعر بالراحة، فمن يعمل عملًا مجهدًا يقدر الراحة أكثر من هؤلاء الذين لا يشعرون بالإجهاد في عملهم، لذا علينا أن نفكر أنه كلما بدت لنا نسبة احتمال الفشل، فإن ذلك يعني أننا سنحقق نجاحًا أكبر إذا ظللنا على إرادتنا في النجاح، وإن لم تصدقوا ما حولكم من تجارب كان الفشل فيها هو الذي جعل الآخرين يقدرون قيمة النجاح، ليس ذلك بالنسبة للشخص الناجح فقط بل لمن حوله أيضًا، فلنتذكر أحد أصدقائنا القدامى الذي أصبح ناجحًا وقصة نجاحه تنتقل من بلد إلى أخرى، لأنه ينمي من شخصيته ونجاحاته كل يوم، وستجد أنك ستتفاجأ بذلك، لأنك رأيت في البداية أن نسبة احتمال الفشل كانت أكبرمن النجاح، ولكنك لن تتفاجأ بشخص ناجح منذ البداية،يتوقع له كل من حوله بأن يحقق جميع أهدافه، حتى لو أن ذلك الأخير حقق نجاحًا أكبر من ذلك الذي توقعت له الفشل، لن تتفاجأ إلا بمن كانت تحدياته أكبر، فكلما كانت الصعوبات أكبر كلما كان الشعور بقيمة النجاح أكثر سرورًا، وإن لم تجد ذلك النموذج في الحياة العادية، فلينظر المسلمين إلى قصص الأنبياء في القرءان، والمسيحين

إلى قصصهم في الإنجيل، ولينظر اليهود إلى توراتهم، سنجد أن جميع الأنبياء على اختلاف النصوص التي ورد ذكر قصصهم بها، كان احتمال فشلهم أكبر من احتمال نجاحهم، لكن الله ألهمهم الصبر إلى أن نجحوا في نقل ونشر رسالاته، ولنأخذ ما جاء بتلك القصص من عظات ولننتبه إلى معاناة جميع الأنبياء، لأن الله قادرًا على أن يجعلنا كلنا نؤمن به، لكنه يريد منا أن نفكر ونصل إلى ذلك بعقولنا وقلوبنا، فلتسخر جسدك وعقلك وتؤمن من صميم قلبك بأهدافك حتى تستطيع أن تحققها، ولتعرف أنك قد تتعرض للشعور بالحزن والغضب لما ستواجهه من عقبات، إلا أن عليك أن تتحمل كل ذلك، فلولا إيمان الأنبياء برسالاتهم، وتحملهم لما لاقوه من مواجهات وتحديات، التي احتاجت إلى معجزات إلهية، لإثبات نبوتهم، لما استطاعوا أن ينقلوها إلى قلوب الشعوب التي تلقت تلك الرسالات، وأن الله جعل تلك الصعوبات دلائل على صدق أنبيائه، فكانت سببًا في نشر تلك الرسالات.

إن وجود المعجزات الإلهية الواردة في قصص الأنبياء لا تنفي وجود المعجزات الإنسانية التي نراها من حولنا والتي نسمع عن

حدوثها منذ عدة قرون، لأننا نقرأ عن تلك النماذج التي استطاعت أن تقهر ظروفها على مر العصور، ونقرأ في كتب التاريخ أسماء أكثر الشخصيات نجاحًا في مختلف الأزمان، ولننظر إلى أن المجتمع الصغير المحيط بنا، على أنه قد يغير شكل العالم بأكمله، ونشجع من نعرفه لكي يصبح أفضل، لأننا يحتاج كل منا إلى نجاح الأخر، لنزيد من التنافس القائم على الأفضلية، وأن نعمل كفريق يجب أن يكون كل أعضائه محترفين وعلى أعلى مستوى من الخبرة والاحترافية، فنستطيع أن نقهر كل ما ومن يريد أن يتغلب علينا، وكما فعل نيك مع محنته وشجع غيره على تحدي الإعاقة كصديقه "تشاك" الذي كان مصابًا بقصورر في أطرافه، أو ما فعلته معه هاميلتون راكبة الأمواج الشهيرة وصديقيها عندما مكنوا نيك من تعلم ركوب الأمواج، وأشركوه في المسابقة، هكذا إذًا هي روح الفريق، فلم يكن لنيك أن يركب الأمواج دون مساعدة أصدقائه، ولم يكن لتشاكي النجاح في ممارسة البيسبول أو كرة السلة أو غيرها من الرياضيات التي يتميز فيها لولا تجربة نيك صديق طفولته، وما رآه منه من نجاح، حتى في مدرسته الجديدة التي أتاها، طفل

جديد معاق ليس له أصدقاء، لكنه سرعان ما تصادق مع المدرسة بالكامل من مدرسين وتلاميذ لأنه قبل نفسه بالشكل الذ هو عليه، ولولا قبوله لذاته لما استطاع أن يتقبله أحد، فحين نعتقد من داخلنا أننا لا نستحق محبة أحد لا يحبنا أحد، أما إذا نظرنا إلى ما بنا من مزايا، سنصبح أكثر قدرة على الانخراط في المجتمع لنحظى في البداية بحياة طبيعية، نؤثر في المجتمع ونتأثر به، وكلما زادت ثقتنا في أنفسنا كلما زاد ذلك من تحول حيواتنا من حياة طبيعية إلى حياة ناجحة ثم إلى حياة أكثر نجاحًا، فقط إذا سعينا وراء المثالية التي يجب أن نراها دائمًا هدفًا قريبًا واستمرينا في التحرك في هذا الاتجاه. لم يتمكن نيك في البداية في التأقُلم مع المدرسة الجديدة لأنه بشر وجميعنا يخشى التجارب الجديدة، ونقاوم التغيير الذي لا نستطيع أن نعيش بدونه، فالحياة تتغير من فترة إلى أخرى ومن الطبيعي أن يتغير الإنسان ليس أمامنا خيارٌ آخر، فهناك من يتغير كل يوم، الى الأسوأ، لأنه يقاوم أن لا يتغير، ومن يتغير إلى الأفضل إلى أن مستويات الغير تختلف من شخص إلى آخر، وفقًا لاختلاف المقاومة والقبول عند كل منا، وسواء شئت أم أبيت فالإنسان في

حالة تغير دائمة، فالثابت الوحيد في الحياة هو التغير، وسنجد أننا نمر بمراحل مختلفة في حياتنا تختلف فيها مشاعرنا تجاه الأمور التي مررنا به من قبل، فلن تجد أفكارك ومشاعرك لم يطرأ عليه أي تغيير عبر مراحل الحياة المختلفة من طفولة ومراهقة وشباب ثم شيخوخة، فهذه المراحل تتطلب استجابات وردود أفعال تتناسب مع طريقة التفكير والشعور لكل مرحلة، وإن لم تتغير عبر تلك المراحل فلتتأكد أنك لا تحيا حياة البشر، إنما أنت مجرد دمية لا حياة بها، فليعرف كل شخص منا التغيير الذي يمر به ويحاول أن يتدخل في تشكيله، ليتغير إلى الهيئة التي يرغب به ولا يدع الأمور تسير بعشوائية تجعله دائمًا سيخشى ما سيواجهه في الغد، أما إذا تحكم في تلك التغيرات التي تحدث له، فلاشك أنه يستمتع بالحياة التي يريدها في المستقبل. ربما تكون لحظات التغيير هي أصعب لحظات الحياة علينا ولكن علينا أن ندرك جيدًا أن ذلك هو حقيقة الظروف الصعبة التي نواجهها، فحين نفقد وظيفتنا، ربما يحثنا فقد تلك الوظيفة إلى تحقيق ذاتنا في عمل نملكه، ثم بعد فترة قصير كانت أو طويلة نستطيع أن ندير أعمالنا الخاصة، ونصبح من أصحاب

الأعمال، ولكن التغيير الأكبر يأتي بفقداننا لمن نحبهم، فتجربة الموت هي الاختبار الأعظم والأكثر تغييرًا على حيواتنا، لكن إذا فكرنا في أن من نحبه يتمنى لنا حياة أفضل، ولا يريد منا الحزن عليه أو أن نصاب باليأس، بل لنسعى إلى تحقيق أهدافنا وفاءً لمحبة من فقدناهم، ولنحقق إذا أردنا ما لم يستطيعوا أن يفعلوه، ونكمل ما بدأوه حتى لا نشعر أو يشعر المجتمع بخسارتهم، لأن التفكير بتلك الطريقة سيحررنا من الضغط الذي يعيق تقدمنا وسيجعلنا نبذل المزيد من الجهود في توجيه تلك التغيرات إلى الطريق الذي نريد أن نسير فيه.

توقع المفاجآت

إن بإمكان كل شخص أن يستفيد من تكتيك توقع المفاجآت، لكن الأشخاص الأكثر استفادة من ذلك التكتيك هم من يشعرون بأنهم منبوذين من المجتمع المحيط به، لأن ذلك الشعور يأتي بعد أن يفكر المرء في أنه لن يستطيع أبدًا مجاراة الأشخاص المحيطين بهم والانخراط والمشاركة في الأعمال الجماعية، وقد ينشأ عن ذلك العديد من الأمراض النفسية على وجه الخصوص، مثل الانعزالية والابتعاد عن الآخرين والتمركز داخل أنفسنا، مما لا يجعلنا نتمكن من تكوين عائلة تتمتع بالقدر الكافي من الاستقرار، وتزداد تلك الحالة سوءً، فتؤثر على اختيارنا للممارسات الحياتية، فتجعلنا نكره التواجد مع الآخرين ولا نحب الرياضات الجماعية ككرة القدم على سبيل المثال، ونتجه نحو السباحة لأننا نجدها أكثر خصوصية وانعزالية عن المجتمع المحيط بنا، وقد نستفيد من تلك الحياة لبعض من الوقت، إذا تزايدت تلك الحالة إلى أن تقتصر هوايتنا الجسدية

والعقلية على الأمور والنشاطات الفردية، فنجدنا نتعلق بالقراءة أكثر من أن نعيش لحظات حياتنا، فالنجاح الوحيد المتوقع لشخص ينغمس في النشاطات الفردية، أن تكمن مواهبه وقدراته في أمور مثل الكتابة على سبيل المثال، وسيتوجه ذلك الشخص للكتابة عن نفسه في بداية الأمر إلى أن يستنفذ كافة التجارب التي مر بها، فيشعر بفقر أفكاره عن أن تقدم جديدًا لقرائه، حينئذ سيعرف أنه بحاجة إلى الانخراط في المجتمع ليعرف ردود أفعال القُراء، وما هي العادات التي أثرت على رؤيتهم لما كتبه من أفكار، وإن لم يفعل ذلك ويتمكن من الانخراط في المجتمع بشكل طبيعي، فلن يلمس حيوات أخرى في كتاباته، ولن يكون تأثيره عميقًا في نفوس الآخرين، إلا عدد قليل ممن يتشابهون معه في طريقة التفكير، وسيتفاعل هؤلاء معه جيدًا لكنه لن يؤثر على طبقة أوسع منها، فالوحدة والعزلة تولد الخوف من الآخرين، والشعور بالمزيد من الاضطهاد، ولكن حالما نخرج إلى المجتمع المحيط بنا ونتحدث عن أفكارنا وندرس ردود أفعال الآخرين، وانطباعهم الأول عما نكتبه ستتغير طريقتنا في الكتابة وتصبح أكثر عمقًا في التأثيرفي نفوس

القراء، لذا حتى العظماء يحتاجون إلى مشاركة حياتهم مع الحيوات الأخرى التي تحيط بهم، كي يستطيعوا التأثير فيها، والتأثر بها، ولم تكن الكتابة إلا نموذجًا لكن ذلك ينطبق على كافة المجالات الفردية مثل الرسم، والكتابة، والنحت وكل ذلك، فلن تجد كاتب أو رسام أو نحات أو أي ممارس لمهنة فردية أخرى يستطيع أن يؤثر في العالم المحيط به إذا أخرج أول عمل له دون أن يأخذ رأي الأخرين به، فالنجاح يتطلب الانخراط مع الآخرين، لذا إذا على من يشعر بأنه منبوذ أن يتوقف عن الشعور بذلك، ويخرج الآن إلى المجتمع حتى لو نظر المجتمع إلى ما به من عيوب أو أخطاء، كما نظر أصدقاء نيك بالمدرسة الجديدة إليه في بداية الأمر، وأن يخرج إلى المجتمع بنية حسنة، وسيجد المزيد من الحب الذي لا يتوقع أن يحصل عليه، ولن يتفاجأ بذلك مع مرور الوقت، وكما نظر نيك في بداية الأمر أن انتقال عائلته إلى أميركا في بداية الأمر أمرًا يثير بداخله الحزن، لكنه حينما تقبل نفسه بما به من عيوب اكتشف مزايا الحياة الجديدة التي انتقل إليها، لم يكن يراها حين كان منعزلاً عمن حوله، فقد عاش فترة طويلة دون أن يحول في اكتساب صداقة

الآخرين، لأنه يظن أنه لا يوجد أحد يريد مصادقة شخص في مثل حالته الجسدية، فقد نظر إلى ما به من عيوب فقط، لكنه سرعان ما غير نظرته إلى نفسه فتغيرت حياته بالكامل نتيجة لذلك، ووجد أن حياته بأميركا تتيحح له فرصة أفضل للتعليم وللتفكير، ففي حين يكون المجتمع أكثر تعددية من حيث الأفكار والثقافات تتعدد أوجه التأثيرات التي يمكن أن يحدثها أفراده في بعضهم البعض، تمامًا كما يصف نيك الآن المجتمع الذي يعيش فيه بعد أن نظر إلى مزايا مجتمعه الجديد، وتخلى عن النظرة السلبية التي كان يشعر بها، وليلاحظ كل منا أكبر تحولًا في شخصيته سيجد أنه جاء نتيجة تعرفه على حياة جديدة أو على مجتمع جديد، وفكر فيما يدور بعقلك من أفكار حين تشاهد أحد الأفلام أو البرامج التي تعرض بعض التفاصيل عن شخص منعزل عن مجتمعه، تجد انك تتعاطف معه وتشعر أنه يعاني ما تعاني أنت منه، لكنك لا تصدق أن تتحول حياتك كما تحولت الشخصية التي رأيتها على شاشة التلفاز، ولما لا؟ هل لأن تلك الشخصية من وحي إبداع المؤلف، أم لأنك لا تتوقع أن تتحول حياتك إلى الأفضل، إن كل ما يرد بالأفلام

والمسلسلات من تفاصيل التي تتحدث عنها الأغنيات واللوحات وكافة الأعمال الإبداعية من مسرح وسينما وراويـة.... إلخ، استلهمها مبدعوها من الحياة الواقعية، فلتتوقع حياة أكثر سعادة مما ينسجه خيال المؤلف، ولتكتب أنت قصتك، وتحيا التفاصيل الصغيرة بالطريقة التي ترغب فيها، ولا تتفاجأ بأوقات الفشل أو النجاح، لأن الصدمة تجعلنا نخطئ في تقييم العوامل التي أدت إلى النجاح أو الفشل وتعيق تقدمنا، لذا علينا أن نضع كافة الاعتبارات في عقولنا عند اتخاذ أية قرار وأن نتوقع النجاح والفشل على حد سواء حتى لا تؤثر علينا صدمة الفشل في التراجع، ولا يتسبب النجاح في الخمول والكسل والاكتفاء بما وصلنا إليه فكلاهما مضرين، وقد تتظاهر صدمة الفشل بأنها أكثر ضررًا، إلا أن صدمة النجاح هي الأخري تتضمن على ضرر الوقوع في الكسل والغرور، لا إعطاء القيمة الحقيقية للنفس، ولندرك كل منا أننا سيحقق الحياة التي يتوقعها طالما ظل يقاوم العقبات التي تواجهه ويقاوم رغبته في الاستسلام، حالما يفعل ذلك ستتحدد له خطوات التحكم في التغيرات التي تحدث له من خلال خمس خطوات

١-إدراك حاجتنا إلى التغيير

٢-التشوق إلى اختبار شيء جديد

٣-النظر إلى مامضى من حياتنا بمزيد من الإيجابية

٤-التأقلم والانخراط في الحياة الجديدة

٥-السعي نحو تغيير جديد

إنها خطوات يسهل على كل منا اتباعها أليس كذلك؟! لأنها جميعًا تكمن وراء النشاط وعدم الخوف من الجديد، فما هذه الخطوات إلا مجموعة من التكنيكات اللازمة لتنفيذ استراتيجية التغيير إلى الأفضل، وإذا كنت لا تستطيع أن تدرك حاجتك إلى التغيير، فلتنظر إلى بعض العائلات التي اختارت أن ترحل إلى مكان آخر منذ بضع سنوات وكيف صارت حيواتهم بالأماكن الجديدة، فعادة ما يجعلنا إدراكنا للتغيير الذي نحتاج إليه نفكر في الانتقال إلى الأماكن التي تلبي احتياجاتنا، وتنظر إلى المستقبل، فبعد سنوات قليلة، سينمو الأطفال في عائلتك ويكونون بحاجة إلى الذهاب إلى الجامعة، أو إلى أماكن يوجد بها المزيد من فرص العمل، هكذا إذًا

يأتي التغيير إلى الأفضل أما إذا كان الانتقال بغرض الابتعاد عمن نعرفهم لنتمتع بالخصوصية التي نحتاج إليها، فلنحقق من وراء ذلك السبب السلبي نتائجًا إيجابية، ولننتبه إلى أن يؤهلنا ذلك إلى الانعزال عن المجتمع المحيط بنا. حين ندرك حاجتنا إلى التغيير ونجد المجال الجديد الذي نريد العمل فيه، حتى ولو أخطأنا الاختيار فسيجعلنا ذلك نعرف ما نحبه ونتحول إليه.

يحتاج كل منا إلى التخلص من التأثر بالماضي، إذا رأينا أنها تعود علينا بالسلب لا بالإيجاب، فلاشك أنه لن يتمكن المرء في إعطاء كامل تركيزه للحياة أو العمل الجديد دون أن يترك التفكير في الماضي، لأن ذلك سيشتت انتباهه بعيدًا عن مستقبله، ثم ياتي بعد ذلك التأقلم مع الحياة الجديدة التي نعيشها والانخراط في النشاطات الاجتماعية والرياضية ومشاركة الآخرين لحظات فرحهم وحزنهم، فذلك يخفف عنهم ويفيدنا في تخطي المصاعب التي نمر نحن بها، وبمجرد أن نتأقلم مع الحياة الجديدة وتستقر بنا ظروفها، فعلينا أن نفكر في اتخاذ خطوة جديدة، حتى لا تكون صفتنا الحالية هي السكون، وعلينا أن لا نسمح لأنفسنا بأن نرتاح

بذلك الشعور فسرعان ما يصاب أصحاب الأعمال المستقرة، ممن لا يطمحون إلى تحقيق المزيد من النجاح بالملل، وبمرور الوقت يصبح الملل هو المزاج العام، ويبدأ المرء في التراجع عن مستوى النجاحات التي حققها لأنه لم يعد يطمح في المزيد، فكما ذكرنا من قبل إن الثابت الوحيد في الحياة هو التغير، فإما أن تتحكم بذلك التغير، وتصعد وتسمو مكانتك، أو تتركه يتحكم هو بك، فتتراجع قيمتك بالمجتمع إلى مستويات أقل، لتكن تلك الخطوات هي ما ننظر إليه حين نريد أن نتغير.

ثق بأنك تسطيع أن تغير العالم

لقد استطاع نيك أن يغير من حياته أولاً، بأن جعلها أفضل من تلك التي بدت للجميع في بداية الأمر، ثم تجول في جميع بلدان العالم واستطاع أن يقدم الدعم للكثير ممن يمرون بفترات صعبة في حياتهم، فلقد اقتصرت زياراته على المناطق الفقيرة والأماكن التي تعرضت للكوارث الطبيعية، ومن بين أكثر المعانات بشاعة من خلال رحلاته حول العالم، ما وجده في مومباي من كارثة اجتماعية، حيث أنه عرف أن هناك احصائيات تفيد بأن أكثر من نصف مليون مواطن من سكان مومباي يتاجرون بأعضاء أجسادهم ليؤمنوا حياة أفضل لأولادهم، فالرجال يبيعون أعضائهم فيما تبيع الفتيات والنساء أجسادهم للغرباء، مما يصيبهن بالأمراض وينشر ثقافة الجهل، لأن بيع الأعضاء وممارسة الجنس مقابل المال، فلا داعي للتعلم، فهم لا يرون أية خيارات أخرى، ولم يعد لديهم أمل في الحصول على حياة أفضل، لذا قرر الذهاب إلى هناك، وتقديم المساعدة إلى هؤلاء اليائسين، وكان قرار نيك بزيارة مومباي نتيجة

لأنه يثق في أنه يصنع الفارق ويغير من حيواتهم إلى الأفضل، فقد غير رؤية بعض النساء إلى الأمور، فقد كان هناك اعتقاد ثابت بتلك النسوة، وهي أنهن لا يستحققن إلا ذلك، فقد عشن لفترة طويلة في ظل استعباد جسدي، وقد حكت له إحدى النساء تجربتها، وقالت أنها كانت تمشي في الشارع فهاجمتها مجموعة من المجرمين وقاموا بالاستيلاء على ممتلكاتها، واغتصبوها وقاموا بتعذيبها لإرهابها كي لا تخبر أحد بشأن ما فعلوه بها، وحين عادت إلى منزلها طردها أهلها لأنها جلبت لهم العار ولم تجد طريقًا آخرًا تسير به فصارت تلك مهنتها التي تحصل منها على رزق يومها، فأمرهم أن لايستسلمو لتلك الحالة، وأن يطلبوا المساعدات ممن هم أكثر منهم خبرة سواءً كان صديقًا أو كان أحد أفراد عائلته، أو كان أخصائي محترف من مراكز إعادة التأهيل، ولتعرف أنك تستطيع ذلك دون الحاجة إلى مساعدة، إذا أدركت الهدف من المواقف التي تتعرض لها وبعدها لن تستطيع أن تساعد نفسك فقط، بل ستمتلك ما يمكنك أن تقدمه للآخرين، ثم تتمكن من إقامة علاقة ناجحة مع الشخص الذي تريد البقاء معه، وتنجح في تكوين عائلة تؤثر على المجتمع

بالإيجاب، ويمتد أثرك حتى بعد رحيلك، ويتمثل فيما يستطيعه أبنائك ومن ورث عنك خصلة من خصالك الجيدة على مجتمعاتهم، وتخلد قيمتك في جسد المجتمع إلى الآزل، ولتحدد طبيعة العلاقات التي تود أن تكون طرفًا فيها لأن ذلك سيؤثر على مستقبلك، ولا تقم باختيارالشخص الخطأ لتشاركه حياتك، وحين تجد الشخص المناسب لك، لا تترك تلك الفرصة تفوتك وكون علاقة معه وتعارفوا جيدًا، فالتعارف القائم على الصدق، هو أساس نجاح كافة العلاقات، سواءً علاقة الارتباط أوعلاقة الصداقة، وتستطيع أن تقدر ماهية الشخص الذي تحتاج إلى معرفته، من خلال تقييمك الدائم لنفسك، وللخصال التي تحبها في الآخرين، وتشتمل عملية تقييم الذات ومعرفة الخصال التي تعجبنا على عدة خطوات وهي:

١-قراءة دائمة للعواطف والمزاج العام

٢- الانتباه إلى ما يقوله الآخرون والبحث عن دوافعهم

٣- تقييم ما تثيره أفكارنا من ردود أفعال ومدى إدراك الآخرين لما نقوله

٤. المشاركة في النشاطات الاجتماعية

٥- التحكم في النفس

٦-إعطاء المزيد من الاهتمام للآخرين

هذه الخطوات السابقة هي التي تعظم من شأننا على المستوى الاجتماعي، فنحن بحاجة إلى تلك القيم، حتى ولو بلغنا ما لم يبلغه أحد من العظمة على المستوى الشخصي، لأن القيمة الشخصية تكمن فيما استطاع المرء أن يحققه لنفسه من أمنيات أما القيمة الاجتماعية فهي تكمن وراء الدور الذي نؤده في النهوض بالمجتمع بمساعدة أعضائه، ومد يد العون للآخرين، لأن ذلك سيساعدنا في إيجاد ما نريد العثور عليه، لأننا في طريقنا لمساعدة الآخرين نفهم بعض الأمور عن أنفسنا، التي تساعدنا في رسم مستقبل أفضل، لأنك أنت المسؤول الوحيد الذي قد تقع عليه عبء تحقيق أماله، ولتدرك أن عليك التخلص عن كل ما يعيقك عن التقدم، ولترتاح من وقت الآخر من آلامك وفكر بعقلك الخطوة التالية، ولا تأخذ الأمور بظاهرها بل انظر إلى جوهر الأمور، ولتكن على استعداد تام لاتخاذ القرار الصحيح والخطوة المناسبة، وإليك تجربة أخرى من تجارب نيك توضح كيفية القيام بذلك والحفاظ على نشاط أرواحنا.

التخلص من الأفكار السخيف

كان نيك فى منتصف الطريق خلال جولة عبر خمس مدن إندونيسية حيث كان يحاضر خمسة وثلاثين مرة فى تسعة أيام. كنت متعباً جدًا. وعندما تكثر مشاغله بهذا الشكل الهوسى يصبح أكثر نزقاً ولا يستطيع البقاء هادئاً.

كانقد إنتهى من زيارة مدينة جاوة، وبينما كان يستقل الطائرة من جاكارتا ذاهبين إلى سيمارانج، إجتاحته طاقة صاخبة.

كان هناك خمسة أخرين يسافرون معه، من بينهم المسئول عن رعايته "فوجان"،والذى كان ضخما وقويا ومحبا للمرح، وقد أثار إعجاب مضيفات الطائرة بمجرد صعودهم على متنها، وكن يبادلنه المزاح والمرح وما إلى ذلك.

فى البداية كان نيك وفوجان بمفردهم، إذ كان علينيك أن ينزل عن الكرسى المدولب ويمشى عبر سلم الطائرة ومن بعده الممشى الداخلى حتى يصل إلى مقعده الخاص، وبمجرد أن عبر الممشى

وإقترب من مقعده، خطرت له فكرة مجنونة أرادت أن يجربها.

قال نيكك لصديقه « فوجان، أسرع قبل أن يأتى أحد أخر، إرفعنى عاليا لنرى إن كانت مقصورة الحقائب العلوية ستتسع لى».

تمازحوا كثيرا بسبب هذا الفعل، وقبلها بأيام قليلة قام فوجان بوضعه بداخل الإطار المعدنى فى صالة الرحيل لمعرفة إذا ما كانت المقصورة العلوية ستتسع لأن تأخذه، لقد إتسعت له بكل سهولة، عندها بدأ الناس بمناداته "الفتى المحمول".

كانت المقصورة العلوية مرتفعة تماما، ولم يكن متأكدا إذا كان هناك من يقدر على رفع ألأربعة وسبعون باونداً التى تمثل وزنه إلى هذا الإرتفاع. ولكن فوجان لم تكن لديه مشكلة، لقد رفعه إلى الأعلى، وبسهولة بالغة تمكن من وضعه على جانبى بداخل المقصورة.

قال له "حسناً، الأن أغلق الباب، ولننتظر حتى يصعد باقى الركاب".

دس فوجان وسادة تحت رأسه وأغلق الباب، تاركا إياه فى الأعلى، رأت المضيفات ما قاما بفعله فإنخرطن فى الضحك، حيث كانا يحمحمان كأنهم أطفال فى مدرسة.

لم يكن نيك متأكدا مما إذا كان سيقدر على إتمام هذا المقلب، ولكن باقى المسافرين مالبثوا أن صعدوا سلم الطائرة دون أن يلاحظوا أن هناك من يختبئ فى الأعلى، بالكاد إستطاع طاقمه والمضيفات تمالك أنفسهم عندما أتى رجلاً مهذب عبر الممشى ثم مد يده ليضع حقيبته فى مقصورة نيك، بمجرد أن فتح الباب إنتابه الفزع لدرجة أنه قفز حتى كاد يرتطم برأسه فى سقف الطائرة، حين أخرج نيك رأسه للخارج ثم قال له " سيدى!، لا أصدق أنك لم تطرق الباب !.»

لحسن الحظ، كان الرجل ودوداً، فضحكوا جميعا، كان نيك نيك حينئذ لم يبرح مكانه فى المقصورة، وإلتقطوا الكثير من الصور الفوتوغرافية مع الرجل، ظل المسافرون الأخرون والمضيفات وبالطبع معهم فوجان يهددوننه بتركى فى الأعلى، "حذار من ذلك فقد تتغير المناوبة أثناء الرحلة".

جموح الطريق

قدمنا لكم التشجيع والتوجيه لإيجاد غايتكم فى هذه الحياة، لنجعلكم متفائليم، ومؤمنين بأنفسكم، ومحافظين على موقف جيد تجاه الحياة، وحثثناكم على التصرف بشجاعة، والتعامل بمرونة، وإتقان التكيف والتحكم فى علاقاتكم، والعمل على خلق الفرص التى تقربكم من تحقيق أحلامكم. والأن نريد أن نتحلى ببعض الجنون، مثل نيك تماما.

يعتبر نيك نفسه مبتكر القواعد السخيفة، والتى يجب على كل إنسان يعيش على هذا الكوكب أن يلتزم بفعل شئ سخيف ولو لمرة واحدة يوميا على الأقل.

سواء كان ذلك من أجل السعى لتحقيق حلم أو لمجرد الإستمتاع بالسخافة.

تنبثق قواعده الخاصة بالسخافة من إحدى مقولاته المفضلة

"عدم الكمال جمال، الجنون عبقرية، وخير لك أن تكون سخيفا تماما، من أن تكون ممل تماما".

إن المؤلف المزعوم لهذه المقولة ليس واحدا من الأشخاص الذين أعتبرهم نيك قدوة ليه، ولكنه يعتقد أن الممثلة الراحلة مارلين مونرو كانت على حق عندما قالتها.

بالطبع عدم الكمال جمال، ولم لا ؟، أيضا لا يمكنك أن تجادل فى حقيقة كون الجنون عبقرية، فعندما يقوم شخص بمخاطرة ما، فإنه يعتبر مجنونا فى نظر البعض، ويكون عبقريا فى نظر البعض الأخر. كما نعتقد أنه من الأفضل أيضا، أن يكون سخيف جدًا، بدلا من أن يكون مملاً جدًا.

يمكننا أن تتعلم، بل ونتقن كل الدروس الواردة فى هذا الكتاب. ولكن، إن لم تكن مستعدا للمخاطرة، أو ليس لديك الجرأة لتكون مجنونا فى نظر أولئك الذين يشكون فى عبقريتك، فإنك على الأرجح لن تتمكن من تحقيق أيا من الأشياء التى حلمت بتحقيقها.

لمصلحتك، بل لمصلحة الكوكب كله، كن جريئا بما يكفى للعيش بشكل مرح. لا تنس أن تسخر من نفسك، ولا أن تنفض

عنك بؤسك، لأنك حينما تفعل ذلك سوف تستمتع برحلتك فى هذه الحياة.

فمثلنا مثل أي مثل أى شخص أخر يقع أحيانا فى فخ الإلتزام المبالغ فيه بما هو مقرر، هذا النمط من الحياة المشحونة بالعمل وغير الكافية فى نفس الوقت.

كان عازماً على أن يصبح رجل دين ومحاضر تحفيزى، ولكى يتمكن من صقل مهاراته الكلامية حدد طريقته، فكان لا يدع فرصة لحضور كل محاضرة كلامية إلا وإغتنمها، بعد ثمانية سنين رائعة من التجول والكلام والمحاضرة بدون توقف، أصبح أكثر إنتقائية، كان يحتاج إلى مزيد من التوازن.

نحن نقع بسهولة فى فخ التفكير بطريقة "يوما ما"...

«يوما ما سيكون لدى ما يكفى من المال لأستمتع بالحياة»

«يوما ما سأستطيع قضاء المزيد من الوقت مع عائلتى»

«يوما ما سيكون لدى الوقت للإسترخاء وفعل ما أحب»

لتكن لديك الشجاعة لتغتنم حريتك كى تمرح من خلال وسيلتين:

الأولى- "مجازفة السخافة". كن على إستعداد تام لأن ترمى وراء ظهرك كل المشككين والرافضين وتقوم بتلك القفزة لتعيش أحلامك. قد يقول البعض أنك أصبحت سخيفا، لتكن إجابتك نعم أنا كذلك.

أن تفعل ما تحب. قد يبدو سخيفا فى نظر من لا يشاركونك رؤيتك ولا شغفك، عليك ألا تدع سخريتهم تلهيك عن حلمك، بدلا من ذلك يمكنك أن تمتطيها فى طريقك نحو القمة.

الثانية- "متعة السخافة" إقض الوقت فى الإستمتاع بحياتك وحياة أحبائك.إضحك، حب، وإمتلك متعة السخافة، بذلك يستطيع الأخرون مشاركة البهجة. إذا كنت تظن الحياة جادة، فتخيل الموت.

فى هذه الحياة المباركة.

كن جاداً إذا أحببت لأبعد الحدود، ولكن إغتنم الفرصة أيضا لتكون مرحا إلى أبعد الحدود.

مجازفة السخافة

هيلين كيلر التى فقدت بصرها وسمعها فى طفولتها، والتى رغم ذلك أصبحت كاتبة وناشطة مشهورة، تقول أنه لا يوجد ما يسمى بالحياة المضمونة الأمنة «ليس لها وجود فى بنية الطبيعة.... الحياة إما تكون مغامرة جريئة وإما لا شئ».

المجازفة إذن ليست مجرد جزء من الحياة، بل هى الحياة نفسها.

تكمن الحياة الحقيقية فى تلك المساحة ما بين حدود راحتك وحدود حلمك. إنها منطقة التوتر العالى والإثارة المتواصلة. وهى أيضا المكان الذي تكتشف فيه ذاتك.

كارل فالندا. البطريرك الأسطورى للعائلة المالكة. أكد على ذلك عندما قال "أن تمشى على حبل مشدود معلق فى الهواء، هو الحياة الحقيقية، وكل ماعدا ذلك فإنه مجرد إنتظار". كل واحد من لاعبى القفز الحر بالمظلات، أو راكبى الطائرات الشراعية، وحتى الطيور الصغيرة، كلهم يعرفون أن التقدم نحو الحافة مخيف جدا فى المرة

الأولى، ولكنه ضرورى بالنسبة لهم إذا كانوا يريدون تعلم الطيران.

واجه حقيقة أن كل يوم لك فى الحياة قد يكون هو يومك الأخير، لذلك فإن الأمر مثل رمية النرد لكى تستطيع النهوض كل يوم من سريرك.

لا يمكنك أن تصبح فائزا مالم تستعد لمواجهة الهزيمة.

إن طريقة نيك فى العيش يوما بيوم كانت عبارة عن رمية نرد منذ ولادته. كان هناك شكوك حول ما إذا كنت سيستطيع الإعتماد على نفسه والعناية بها فى يوم من الأيام، وقد عانى والداه من مشكلتين إثنتين فى وقت واحد، لأن طفلهم الذى وُلِد بدون أطراف كان أيضا محبا للإثارة. حيث كان نيك دائما ما يضع نفسى على حافة الخطر، لأنه لم يستطع تحمل البقاء ساكنا ولعب دور الطفل الإنطوائى.

لقد جربت التزلج على الألواح ولعب كرة القدم، وإختبر العوم وركوب الأمواج، كما دفع بجسده داخل معركة الحياة وكأنها كقذيفة غير موجهة، فقد كان ذلك سخافة.

الغطس

فى عام ٢٠٠١. جرب نيك القيام بأمرٍ قيل له أنه بالغ الخطورة بالنسبة لوضعه الجسدى. "ذهب للغوص فى المحيط".

ويمكننا أن نتخيل ما واجهه نيك من عواصف من المعارضة.

كان الغطس مثل الطيران ولكن بهبوط أكثر ليونة، وكان قد حاول أن يفعل ذلك قبل هذه المرة بثلاث سنوات، ولكن المدرب المسئول سمح له فقط بالتجديف حول المسبح مرتديا عدة الغطس.

ولكن المدرب كان قلقا بشأن مسؤوليته أكثر من قلقه على سلامته. كان خائفا من إضطراره للشرح لماذا تحمل سمكة قرش هذا الولد المدعو نيك باحثة عن بقية أعضائه.؟

هذة المرة، كان المدرب المسئول "فيليب" اكثر تفهما وتعاونا، كان هو مدرب الغطس فى إحدى الجزر الصغيرة الكولومبية فى أمريكا الجنوبية، وقد تمت دعوة نيك من قِبل مالكى المنتجع

الرائع "بونتا فارو" فى جزيرة موكورا الصغيرة لإلقاء محاضرة هناك، كان سؤال فيليب الوحيد حين رآه يتقدم للتدرب على الغطس هو " هل يمكنك العوم؟».

فبمجرد أن يثق المرء بتقدرته على مواجهة البحر يستطيع فعل أي شئ، أعطاه فيليب درسا سريعا فى الغطس. ودربه على بعض الإشارات، فإستطاع من خلالها التواصل معه تحت الماء، عندما يومئ برأسه أو بكتفه بشكل معين فإن ذلك يعنى أنه بحاجة إلى المساعدة. عندها يأخذه المدرب للخارج نحو الشاطئ. وراح يتمرن قليلا ويجرب الإشارات المتفق عليها، ويختبر مدى جاهزية المعدات ثم قال له فيليب". «حسنا أظنك جاهزا للتعرف على الشعاب المرجانية".

حمله فيليب من خصره بإستحدام زعانفه ومضى به نحو الأسفل، نحو الشعاب المرجانية المحاطة بلمعان قزحى رائع، ثم تركه يستكشف الشعاب المرجانية، بينما طاف المدرب حوله.

إضطر فيليب إلى التدخل مرة واحدة فقط عندما ظهر أنقليس ذو خمسة أرجل طويلة من بين شقوق الصخر المرجانى، وكان نيك

قد قرا ذات مرة أن هذا الأنقليس اللاحم لديه أسنان قذرة مغطاة بالبكتيريا، لذلك أشار إلى فيليب ليسحبه بعيدا إلى مكان أقل خطرا من الشعاب، فلم أرغب فى أن يصبح نيك سوشى.

فتحت التجربة عينا نيك على عالم جديد كلياً، و قد يتسائل البعض إذا ما كان الأمر يستحق المخاطرة؟ بالطبع يستحق. لأنه بخروج المرج من منطقة الأمان تتولد لديه الإمكانية للنمو والتكيف.

إذا كان هناك خطوة جريئة تريد القيام بها، بالتأكيد سيشجعك موقف نيك من الغطس على إتخاذها.

جرب المياه وإرتقى بحياتك نحو مستوى جديد. حتى لو كان تحت الماء. إسبح مع الدلافين، حلق مع النسور، تسلق الجبال، كن مغامرا جريئا، مثل نيك.

والأن. هناك فرق بين مجازفة سخيفة ومجازفة غبية متهورة.

المجازفة الغبية هى تلك التى يكون من الجنون المطلق أن تقدم على القيام بها.

لا ينبغى لك أن تقدم على مجازفة تكون إحتمالية الفشل فيها

أكبر بكثير من إحتمالية النجاح.

المجازفة السخيفة تمنحك الفرصة لتبدو أكثر جنونا وصخبا مما أنت عليه الآن مثل:

١-أن تجهز نفسك

٢- أن تقلل الخطورة قدر الإمكان

٣-أنك يكون لديك خطة بديلة إذا ساءت الأمور

أنواع المخاطر

لقد تعلم نيك تخفيف المخاطر أثناء دراسته للتخطيط المالى والإقتصادى فى الجامعة.

فى عالم الأعمال كما فى الحياة أيضا، من المعترف به عامة أنك لا تستطيع تجنب الخطر كليا. ولكنك تستطيع أن تعالجه أو تقلله من خلال معرفة عمق الوحل قبل أن تطأه بقدمك. أيا كان نوع هذا الوحل.

هناك نوعان من المخاطرة فى الحياة: الخطر المتمثل فى المحاولة والخطر المتمثل فى عدم المحاولة. وكما يقال فإن هناك خطر على الدوام. مهما حاولت أن تتجنبه أو أن تحمى نفسك منه.

فلنقل مثلا أنك مهتم بالارتباط بأحد الأشخاص، فذلك نوع من أنواع المقامرة أن تتصل به وتطلب منه الخروج بصحبتك، ربما يخذلك، ولكن ماذا لو لم تحاول؟. ستندم على ذلك... فقد يوافق هذا الشخص. وربما تصيب هدفك وتعيش معه فى سعادة أبدية.

تذكر أنه ليس لديك أى فرصة فى الحصول على هذه السعاده الأبدية إلا إذا ألقيت بنفسك فى خضم المغامرة. ألا يستحق ذلك أن تلزم المغامرة؟.

سوف تخسر من حين إلى آخر، سوف تقع أرضا، ولكن المجد كله يكمن فى النهوض من جديد، ومرة بعد مرة سوف تنجح.

كى تعيش يجب أن يكون لديك الإستعداد للنضال والإجتهاد.

كى تعيش بشكل جيد. يجب أن تتعلم كيفية التحكم واحتواء الأزمات من خلال معرفة الجانب الإيجابى والجانب السلبى لكل خطوة تهم بإتخاذها.

لا يمكنك أبدا التحكم فى كل الأشياء التى تحدث من حولك والتى تحيط بك. لذلك ركز على ما يمكنك التحكم به، و قيم كل الإحتمالات أولا، ثم إتخذ قرارك بعدئذ.

يحدث أحيانًا أن ينبئك قلبك بأنه يجب عليك المحاولة وخلق فرصتك الخاصة رغم ضعف إحتمالات النجاح عمليا.

من الممكن أن تفشل. ومن الممكن أن تنجح. ولكن لا شك أنك لن تشعر بالندم لأنك حاولت.

يعتبر نيك نفسه من أصحاب المشاريع التجارية مثلما يعتبر نفسه خطيبا ومصلحًا اجتماعيًا. كما أن لديه العديد من الأعمال والمشاريع التجارية والعقارية، و على مدى سنوات قرأ الكثير من الكتب عن رجال الأعمال. وكان هناك دائما شئ من المخاطرة.

برغم الصورة المعهودة عن رجال الأعمال بأنهم "محترفى مخاطر". فإن رجال الأعمال ليسوا بارعين كليًا فى التعامل مع المخاطر. ولكنهم بارعون فى التحكم والحد من المخاطر ومن ثم المضى قدما برغم علمهم بأن الخطر لم يزول تماما بعد.

ولمساعدتك فى التعامل مع المخاطر التى قد تواجهها فى حياتك، فقد وضعت لك بعض قواعد نيك للتعامل مع المخاطر.

١- جرب المياه

هناك حكمة إفريقية قديمة تقول" لا أحد يختبر عمق النهر بكلتا قدميه معا". إذا كنت تبدا علاقة مع شخص جديد أو تنتقل إلى مدينة أخرى أو وظيفة جديدة أو حتى تريد أن تغير لون الطلاء فى غرفة معيشتك. فلتجرى إختبارا أوليا قبل أن تقوم بالخطوة الكبيرة كاملة. لا تتسرع دون أن تكون فكرة جيدة حول ما تقبل على القيام به

٢- إبدأ بما تعرف

لا يعنى ذلك أنه يجب عليك ألا تحاول إكتساب خبرة جديدة أو أناس جدد، بل يعنى ببساطة أنك تستطيع تقليل الإختلاف بين ما أنت عليه وما تريد تجريبه. عندما تعرف أنه يجب عليك التعامل مع الجانب الإيجابى أو السلبى وكل جانب من جوانب الإحتمالات، عندئذ يجب أن تمتلك الثقة للقيام بتلك الخطوة. حتى إن كنت لا تعرف كل الأمور المتعلقة بها. يجب أن تعرف كل ما لا تعرف. وأحيانا يكون هذا كافيا.

٣- تحقق من التوقيت

كثيرا ما يمكنك التغلب على المصاعب من خلال إنتظار الوقت المناسب للقيام بخطوة ما.

فلا يصح أن تفتتح محل أيس كريم فى منتصف الشتاء. هل يمكن ذلك؟.

كان عرض نيك الأول الذى تلقاه لدخول عالم الأفلام غير مناسب له. ولكن بعد أشهر قليلة كان قد حان دوره ورأى الوقت المناسب لذلك تماما.

أحيانا يكون الصبر فقط هو المطلوب، لا تقلق من التخلى عن فكرة والذهاب إلى النوم، دونها قبل نومك، ثم أعد قراءتها فى الصباح، وستندهش للفرق الذى سيحدث بين عشية وضحاها، لقد فعل ذلك أناس كثيرين مرات عديدة.

ضع التوقيت المناسب دائما فى إعتبارك، وإعرف إذا ما كان هناك توقيت أفضل.

كانت تلك هي إذاً الطريقة التي أثبت نيك بها للعالم أجمع أنه

يستطيع القيام بكل شئ، فلنخرج من هذه القصة التي أدركها الكثير واستفاد منها بما ينفعنا في التخطيط للمستقبل وأن لا نشعر بالعجز لأن العاجز هو اليائس لا من لا يملك يدًا أو قدمًا، أو من تنقصه الموارد الضرورية لتحقيق حلمه، بل العاجز من لا يستطيع أن يتدخل في رسم حياته في الأيام القادمة، ولنكن جميعًا على يقين أن بإمكاننا أن أفضل مما نحن عليه الآن إذا أردنا ذلك، وذلك كله من خلال تحديد ما نتميز به، النظر جيدًا إلى ما نملكه، ثم البحث عن الطريق الذي يجب علينا السير فيه، والتمسك بالأمل بشكل دائم.

فهرس المحتويات

